جامعة الجزائر- 2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة في عهد بني زيري (403-483-/1012/1090م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ.

من إعداد الطالب

ناصر عليش

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد الأمين بلغيث.

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.

جامعة الجزائر- 2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة في عهد بني زيري

(403-483-/1012/1090م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ.

من إعداد الطالب

ناصر عليش

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد الأمين بلغيث.

لجنة المناقشة:

أ.د/ بوكنة عبد العزيز.....رئيسا

أ.د/ محمد الأمين بلغيث.....مقررا

د/ الحاج عيفة.....عضوا

د/ خالدي عبد الحميد.....عضوا

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.

الإهداء

إلى روح ابنتي منية

ـ طيب الله ثراهاـ

إلى أمي الحنون وأم أولادي الصامدة

إلى أبنائي المطيعين

إلى الأستاذ الكريم الدكتور محمد الأمين بلغيث.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

شكر وعرفان

بعد شكر الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور الأستاذ محمد الأمين بلغيث

الذي لم يدخر جهدا في تقديم يد المساعدة والتي كانت ممزوجة

بالتوجيهات الجليلة والنصائح المفيدة، كما أتوجه بالشكر إلى كل من

ساعدنا وشجعنا في هذا العمل المتواضع من قريب أومن بعيد.

فلكم مني كل الشكر والمحبة والتقدير.

المقدمة:

ترك الفتح الإسلامي للأندلس آثارا عميقة في نفوس المسلمين باعتباره معلما حضاريا وحدثا هاما، فالحديث عن الأندلس وتاريخها يحمل في طياته الكثير من معاني الفخر والاعتزاز بأمجاد أولئك الذين أرسوا في الأندلس دعائم وطيدة من الحضارة والتمدن وقواعد راسخة من المثل والأخلاق النبيلة، فمهما كتب عن هذا (الفردوس الموعود)- كما يسميها الدكتور حسن مؤنس- فهو لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات التي تعالج مختلف مظاهر الحياة فيها.

وربما كان أشد ما تفتقر إليه المكتبة العربية عن الأندلس تلك الدراسات الشمولية التي تنظر إلى هذه البلاد وحضارتها في العصر الإسلامي ككل متماسك، ولا تكتفي بالحديث عن الجوانب السياسية والعسكرية كما عودنا بعض المؤرخين القدامى، وإغفالهم مظاهر الحياة العامة بالأندلس التي كانت قائمة منذ الفتح الإسلامي كعلاقة امتزجت بين حضارة إسلامية وافدة وجديدة وحضارة إسبانية أوربية محلية ازدهرت ازدهارا هائلا، تركت بصماتها على كل التاريخ الإسلامي بل العالمي أيضا.

فالفتح الإسلامي للأندلس كان ختاما لدور سابق وبداية لدور لاحق تغلغل في الحياة الإنسانية مشكلا نسيجا اجتماعيا ساهم في صنع وإنتاج العصارة الثقافية رغم ما عرفته من اختلال واختلاط واسعين من حيث الدين واللغة والعرق.

ويعتبر عهد الخلافة الأموية بالأندلس من أزهى عهود الأندلس المسلمة،وهذا بإجماع الباحثين والمؤرخين .

ولعل السبب في ذلك يعود إلى سياسة الحكام المسلمين المتسامحة في مجال الدَين والعقيدة مع أهل الذَمة منذ أن وطئت أقدامهم أراضي بلاد الأندلس.

صاحب تلك المعاني المشرقة ألوان من الأسى والألم على ضياع المكسب العظيم بعد سقوط الخلافة الأموية، وتقسيم الأندلس إلى دويلات متناحرة عرفت باسم ملوك الطوائف،حيث قامت كلها على الفوضى والتنافس والتناحر بين هذه الطوائف، فكانت دراسات لواقع سياسي مرير.

تتفق المصادر على أن الأندلس عاشت بعد نهاية الخلاقة الأموية سنوات صعبة من الفرقة والتنافس والاضطرابات السياسية أدت إلى بروز تلك الصورة الممزقة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لذلك من الخطأ ربط هذه الاضطرابات بإيجابيات أو سلبيات الواقع الاجتماعي للأندلس.

ومن هنا تبدو أهمية البحث، والدراسة في جانبها الحضاري والاجتماعي خاصة في عصر الطوائف، الذي مازال بحاجة ماسة لمن يتناوله بالدراسة والبحث والاستقصاء.

وبناء على ما تقدم اخترت دراسة الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة في عهد بني زيري، في عصر ملوك الطوائف (403-483 هـ/1012-1090 م)، فغرناطة واحدة من بين

المدن الأندلسية التي نالت نصيبها من هذا التقسيم بعد سقوط الخلافة الأموية نهائيا عام:(403هـ/1012م) وانتهاء حكم أسرة بني عامر.

أما عن دوافع اختيار الموضوع، فقد جاء نتيجة لما يلي:

- محاولة إبراز التاريخ الاجتماعي في مملكة غرناطة أكثر في عصر الطوائف.
- المصادر التي عايشت هذه الفترة ترجمت لنا بعض الجوانب الاجتماعية يمكن أن ننطلق منها كمؤلفات: لسان الدين بن الخطيب، المقري، وابن حزم، ومذكرات عبد الله الزيري آخر أمراء الدولة الزيرية بغرناطة.

وتتمحور إشكالية هذا الموضوع في تحديد المعالم الكبرى للمجتمع الغرناطي ، وذلك من خلال التساؤلات الآتية:

أ) ما هي التركيبة الاجتماعية المكونة للمجتمع الغرناطي؟

ب) هل المجتمع الغرناطي مكوناته قبلية؟

ج) هل وقع اصطدام بين العناصر المكونة للمجتمع الغرناطي؟

د) هل هناك تفاوت بين فئات المجتمع الغرناطي في الملبس والمسكن والوظائف؟

ه) ما تأثير العنصر البربري على الحركية الاجتماعية، وهل رسم لنا خريطة اجتماعية جديدة ؟

و) ما موقف الفقهاء من الآفات الاجتماعية السائدة في المجتمع الغرناطي؟

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع يمكن إجمالها فيما يلي:

– دراسة "**مريم قاسم الطويل**":تحت عنوان "مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر" وهو عبارة عن دراسة محلية لغرناطة شملت الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأدبي في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، وقد أفادتني كثيرا في الرجوع إلى عدة مصادر.

– دراسة **إسماعيل العربي** في كتابه:" دولة بني زيري ملوك غرناطة" وهي دراسة سياسية أفادتني في معرفة حكام غرناطة وعلاقتهم بجيرانهم إلى غاية سقوطها في يد المرابطين .

– كما أن هناك دراسة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين" أي الفترة التي تلت عصر ملوك الطوائف للدكتوراه **سامية مصطفى محمد مسعد**،وقد أفادتني كثيرا في الرجوع إلى معرفة عناصر المجتمع الغرناطي، والحياة الاجتماعية المشتركة لجميع الطبقات وغيرها.

وقد واجهتني صعوبات جمة أثناء إنجاز هذا البحث من نقص للمادة العلمية وضآلتها خاصة وأن تاريخ الأندلس تعرض لإبادة تراثه الفكري بأساليب وطرق مقصودة إبان الزحف النصراني على البلاد الإسلامية في الأندلس.حيث أحرقت الآلاف من المخطوطات في غرناطة في شتى العلوم.

وحسب المادة العلمية التي تمكنت من جمعها تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة،حيث تضمن الفصل الأول، دولة بني زيري في غرناطة، استعرضت فيه صورة لما آلت إليه الأندلس بعد الفتنة البربرية، وتقسيمها إلى دويلات وطوائف متناحرة، وأهم المماليك التي ورثت الحكم الأموي في الأندلس، ونصيب البربر من هذا التقسيم وانفرادهم بإقليم غرناطة، كدولة مستقلة تحت حكم بني زيري الصنهاجيين.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه : مكونات المجتمع الغرناطي،حيث قمت بتقسيم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول استعرضت فيه أهم عناصر المجتمع الغرناطي، والقسم الثاني تطرقت فيه إلى الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الغرناطي والمتمثلة في فئة الخاصة والعامة.

وفي الفصل الثالث الذي كان عنوانه :مظاهر الحياة الاجتماعية، عالجت فيه الزواج والطلاق والاحتفالات والأعياد والألبسة والأطعمة وإلى غير ذلك من المظاهر، كما تعرضت لمظاهر الفساد في المجتمع الغرناطي ومسبباته، وجعلت الخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها، وأتبعتها بملاحق الرسالة.

وفي الختام لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد الأمين بلغيث، الذي زودني ببعض المصادر الهامة والمراجع المفيدة التي أضاءت لي طريق البحث ،وعلى توجيهاته ونصائحه وإرشاداته أثناء إنجاز هذا البحث، فله مني أجمل عبارات

الشكر فجزاه الله خير الجزاء، كما لا يفوتني أيضا أن أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث من قريب أومن بعيد.

ولا نقول أنني بلغت الهدف في ما جمعته وكتبته وإنما أرجو أن أكون قد أسهمت بجهد متواضع في إبراز التاريخ الاجتماعي والحياة العامة لأهل غرناطة في عصر ملوك الطوائف، أملي أن يكمل هذا المشوار باحثون آخرون يستدركون ما فاتني والله المستعان.

عرض وتحليل للمصادر والمراجع المعتمدة:

أولا : المصادر

أ- **الكتب الأندلسية والمغربية:**

1. ابن بلقين:(الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الصنهاجي): آخر ملوك غرناطة في الدولة الصنهاجية،(ت 483هـ)،كتابه التبيان،اعتمدت عليه لكونه يحتوي على شهادات حية عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة.

2.ابن عذاري :(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، كان حيا خلال 712هـ/1312م، كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، يتألف كتاب البيان من خمسة أجزاء، اعتمدت على الجزء الثالث منها والمخصص لملوك الطوائف،وقد استفدت من المعلومات الغزيرة المتضمنة فيه والخاصة بالفتنة البربرية وما نتج عنها، كما استفدت كذلك من بعض الإشارات للوضع الاجتماعي والسياسي للأندلس في عهد ملوك الطوائف.

3.ابن الخطيب (لسان الدين):أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني اللوشي الغرناطي (ت 776 هـ/1376م) كتابه أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول تناول تاريخ المشرق من السيرة النبوية حتى عصر المماليك، والقسم الثاني تضمن تاريخ الأندلس، اعتمدت عليه لكونه يحتوي على معلومات خاصة بملوك الطوائف و وصف الفتنة وانقسام البربر، حققه ليفي بروفنسال،

أما القسم الثالث فخاص بتاريخ المغرب حتى بداية عصر الموحدين، تحقيق أحمد المختار العبادي.

4.ابن خلدون :(أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي) ،(ت 808هـ/ 1405م) مصنفه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، فيقع في ثمانية مجلدات اعتمدت على المجلد الرابع/ القسم الأول، حيث تضمن بعض الإشارات فيما يخص الفتنة البربرية وانقسام الأندلس.

5.المقري:(شهاب الدين):أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي التلمساني (ت 1041 هـ/ 1632م) كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، يتكون الكتاب من ثمانية أجزاء، اعتمدت على نسخة إحسان عباس،فهو مصدر أساسي للباحثين في الدراسات الأندلسية على الرغم من أنه لم يكن معاصرا للأحداث التي عرفتها بلاد الأندلس.

ب/ كتب التراجم والأنساب:

1. ابن بشكوال:أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ/1183 م) كتابه الصلة، موسوعة كبرى لتاريخ علماء الأندلس، كان ابن بشكوال معاصراً لملوك الطوائف،

ويعتبر من أعظم علماء الأندلس، وقد استفدت منه في ترجمة الكثير من رجال الحديث والفقه والعلوم الدينية.

2. ابن حزم:(أبو محمد علي بن أحمد) (ت 456هـ/ 1064م) كتاب جمهرة أنساب العرب، زودني بالقبائل العربية والبربرية التي استوطنت الأندلس وأماكن نزولها.

3. ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1256 م) كتابه المغرب في حلى المغرب، حققه شوقي ضيف في جزءين يتضمن تراجم لبعض الشخصيات البارزة في العصر الأموي الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين،كما احتوى على بعض المعطيات الجغرافية لتحديد مواقع بعض المدن الأندلسية.

4. . الضبي:أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599 هـ/ 1202 م)، كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، أفادني في ترجمة بعض أهل الفقه والأدب.

5. مجهول: مفاخر البربر، كان حيا سنة 712هـ/ 1312 م،حققه عبد القادر بوباية للحصول على درجة الماجستير، استفدت منه لتحديد أهم مواطن وبيوتات البربر في الأندلس.

ج/ كتب الجغرافيا:

1. الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار يحتوي على معلومات قيمة عن مدن الأندلس وأقاليمها ووديانها.
2. ابن حوقل، أبو القاسم النصي (ت 362 هـ/ 990 م)، كتابه صورة الأرض، حيث تكلم عن المدن الأندلسية ومميزاتها والمسافات فيما بينها وقد أفادتني في تجارة الرقيق وكيفية جلبهم إلى الأندلس.
3. الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله (ت 560 هـ/1166م) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مستخرجة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وفيه وصف للمدن الأندلسية ووديانه والمسافات في ما بينها. يوجد تشابه كبير بينه وبين كتاب الحميري، خاصة في تحديد مواقع المدن.

د/ كتب النوازل والفقه:

1. ابن سهل، أبو الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486 هـ/ 1093 م) كتاب الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، كان قاضيا في عهد آخر ملوك غرناطة، عبد الله بن بلقين، أفادني ببعض الجوانب الاجتماعية التي طبعت المجتمع الغرناطي.

2. ابن رشد، ابن الوليد محمد بن أحمد (ت 520 هـ/ 1126 م): كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ينقسم إلى ثلاثة أسفار وهي عبارة عن فتاوى صادرة عن ابن رشد في بعض المسائل الفقهية.

هـ/ كتب الحسبة:

من خلال كتب الحسبة التي اعتمدت عليها:

1. السقطي:أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري، كتابه في آداب الحسبة وهو كتاب حافل بالتفاصيل ذات الصلة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس في العصر الوسيط .

2.ابن عبد الرؤوف:أبو عبد الله محمد بن علي بن هشام بن عبد الؤوف الأنصاري القرطبي (ت424 هـ/ 1032 م)،كتابه آداب الحسبة والمحتسب.

3.وكتاب الحسبة لابن عبدون الإشبيلي وغيرها، مدتني هذه الكتب بمادة اجتماعية كانت لي عونا في بحثي المتواضع.

و/ الكتب الأدبية:

1. ابن حزم، كتابه طوق الحمامة في الألفة والآلاف، وقد أفادني في بعض الملامح الاجتماعية كاللباس والمرأة والمهن وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية.

2. ابن خاقان، أبو نصر (ت528هـ/1134 م) وكتابه قلائد العقيان، استنتجت من خلال هذا الكتاب بعض المظاهر الاجتماعية والسياسية التي ميزت عصر الطوائف.

ثانيا : المراجع:

1. مريم قاسم طويل، كتاب غرناطة في عهد بني زيري البربر،وهو عبارة عن دراسة محلية لغرناطة شملت الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأدبي والعمراني في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد أفادني كثيراً في الرجوع إلى عدة مصادر.
2. إسماعيل العربي، كتاب دولة بن زيري، ملوك غرناطة، وهي دراسة سياسية في مملكة غرناطة تحت حكم بني زيري الصنهاجيين، أفادني كثيراً في معرفة حكام غرناطة في هذه الفترة وعلاقتهم بجيرانهم إلى غاية سقوطها في يد المرابطين.
3. محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، هذا الكتاب جزء من كتاب ضخم يتناول دولة الإسلام في الأندلس وقد خصص العصر الثاني لدول الطوائف، عارضا النشأة والتحديد الجغرافي لكل مملكة وتطورها السياسي، كما عالج الخصائص الاجتماعية والحضارية للطوائف. وقد أفادني كثيراً خاصة في التوزيع الجغرافي لممالك الطوائف.

4. حسن أحمد النوش: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، يعتبر من بين الدراسات الاجتماعية الهامة، ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام، في القسم الأول تطرق إلى التركيبات الاجتماعية الاثنية للمجتمع الأندلسي،وفي القسم الثاني عالج الحياة الخاصة للفرد الأندلسي ومظاهرها، وتناول في القسم الثالث الحياة العامة للأندلسيين، أما في القسم الرابع فاستعرض أهم المهن والحرف السائدة في المجتمع الأندلسي.

الفصل الأول

دولة بني زيري في غرناطة

الفصل الأول : دولة بني زيري[1] في غرناطة [2]

عرفت الأندلس[3] بعد ذهاب الخلافة الأموية وانتهاء حكم أسرة بني عامر[4] فترة من أصعب فترات التاريخ الأندلسي قاطبة [5] اتسمت بالأحداث المتعاقبة والأطماع المتزايدة والفرقة والتنازع الشديدين فغدت بذلك كحبات العقد المتناثرة التي لا يجمعها رابط عرق ولا دين .

رغم محاولة عدد من المسؤولين المخلصين آنذاك[6] استمرار وحدته وإعادة خلافته، وبذلوا في ذلك جهود كبيرة دون جدوى.[7]

---

[1] - بني زيري:نسبة إلى قبيلة صنهاجة البربر، استقروا في منطقة المغرب الأوسط(الجزائر) مع ظهور الفاطميين في إفريقيا اعتنق بنو زيري الدعوة الجديدة، كان قائدهم زيري بن مناد من كبار رجال الفاطميين أولاه الفاطميون إمارة في قلعة أشير(الجزائر) فكان ذلك أول عهد بني زيري بالحكم بعد رحيل المعز لدين الله إلى القاهرة، أصبح بلكين بن زيري أميرا على إفريقيا(حوالي 973م):أحمد بن عامر:الدولة الصنهاجية، صفحة من العصر الذهبي للحضارة التونسية، الدار التونسية للنشر، سوسة في 20جمادى الأولى سنة 1390هـ/1970م ص10.

- أشير:بلدة أو حصن بينها وبين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب...تعرف بأشير الزيري: الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار،حققه الدكتورإحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط1، 1975، ط2، 1984، ص 60

[2] - يقال غرناطة ويقال إغرناطة، وكلاهما أعجمي ،انظر، ابن الخطيب(لسان الدين):الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، حققه ووضع حواشيه ومقدمته، محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1393هـ/ 1973م، ص 91.

إغرناطة: مدينة بالأندلسي بينها و بين وادي أش أربعون ميلا، وهي من مدن إلبيرة، وتعرف بغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً، أنظر، الحميري : المصدر السابق، ص 45

[3] -يذكر أن اسمها في القديم ابارية، من وادي إبرة، ثم سميت بعد ذلك باطقية، من وادي بيض، وهو نهر في قرطبة، ثم سميت إشبانية من إسم رجل ملكها في القديم وكان إسمه إشبان، وقيل إنما سميت بالإشبان لما سكنوها في أول الزمام على حرمة النهر،وما ولاه، وقال قوم أن اسمها إنما هو في الحقيقة إشبارية مسماة من أشبوش، وهو الكوكب المعروف بالأحمر، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها .أنظر، البكري (أبي عبيد) جغرافية الأندلس واروبا، تحقيق عبد الرحمان على الحجي،دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1383هـ/1968 م، ص 57

[4] - نسبة إلى الدولة التي أسسها المنصور بن أبي عامر الحاجب القوي للخليفة الطفل هشام المؤيد، الذي لم يتعدى العاشرة، فاستولى على مقاليد تسيير شؤون الدولة، مجردا الخليفة الطفل من كل صلاحياته، وبعد وفاة المنصور (-399 هـ/ 1009 م) خلفه ابنه عبد الملك المظفر وجاء بعده أخوه عبد الرحمن، الذي ثار عليه الأمويون وقتلوه، أنظر، المقري:(أحمد بن محمد التلمساني) : نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968، المجلد الأول، ص 336، 403، 407،

أبو عبيد الله الحميدي :جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبيار،دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1973، القسم الأول، ص 131.

- إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، 92هـ- 422هـ/ 711م – 1031 م، دار النهضة العربية،ط2، بيروت 1980، ص ص 341، 343.

[5] - عن الفتنة الكبرى، ارجع ، إلى: عبد المجيد نعنعي:تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت 1986، ص 499.

[6] - الأندلس : بقلم ج. س كولان ،لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم زكي خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان،دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1980، ص 28.

[7] - عبد الرحمن على الحجي:في التاريخي الأندلسي : من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم،دمشق، بيروت، ط2، 1402 هـ/1981 م، ص 323

تفككت الأندلس وانحل نظامها الإداري والسياسي العام، فوصل أقصى درجات الانفصال وأبعد حدود اللامركزية ففقدت بذلك قرطبة بصفة نهائية دورها الريادي كمركز استقطاب إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.[1]

إنه منظر مؤلم ومحزن، ذلك الذي تقدمه إلينا الأندلس في تلك الفترة العصيبة من تاريخها، حيث لم يسبق لدولة ضاربة في الحضارة أن تتفكك أواصرها الداخلية، وانقسم عقدها سياسيا إلى جزيئات مستقلة مثلما حصل في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.[2]

فقد تحولت الأقاليم الأندلسية إلى مناطق نفوذ شبه مستقلة ومنعزلة، تعرف بدول الطوائف، ورؤساؤهم بملوك الطوائف، وهم ما بين وزير سابق وقائد من ذوي النفوذ والصحب، وحاكم لإحدى المدن، وشيخ للقضاء، وزعيم من ذوي المال والحسب.[3]

ولعل أوضح صورة لحال الأندلس بعد الفتنة وظهور ملوك الطوائف، يقدمها لنا ابن الخطيب في كتابه تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام.[4]

ولابن حزم الفقيهٍ رأي في ملوك الطوائف وحال الأندلس حيث قال: « فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم، يتسمى بأمير المؤمنين ويخطب لهم بها في زمن واحد، وهم خلف الحصري بإشبيلية على أنه هشام بن

---

[1] - عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 499.

[2] - H. Terrasse : Les forteresses de l'Espagne musulmane, Madrid, 1954, p 03

[3] - ابن خلدون:ولي الدين أبو زيد عبد الرحمان(ت808 هـ/1406م): كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الرابع، بيروت، 1968، ص 336.
- محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط1، القاهرة، 1960، ص 11.

[4] - ابن الخطيب (لسان الدين): تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق، ليفي بروفسال، دار المكشوف بيروت، القسم الثاني، الطبعة الثانية، 1996، ص 144.

الحكم، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود بمالقة، وإدريس بن يحي بن علي بن حمود ببشتر ».[1]

كما يسمي ابن الكردبوس هذا العصر بعصر الطوائف[2] كما عرفت البلاد تفرق أهلها شيعاً، واستقل كل أمير بناحيته[3]، واستبد كل رئيس منهم على ما تغلب عليه من الجهات، فانقطعت بذلك الدعوة إلى الخلافة[4].

وهكذا نلاحظ أن عناصر الفرقة والهدم في المجتمع الأندلسي كانت قوية، متأصلة في عقول وضمائر الأندلسيين أكثر بكثير مما ظن الذين بهرتهم إنجازات الحكم المستنصر الحضارية، وانتصارات المنصور العسكرية في أراضي المغرب الإسلامية كما في بلدان إسبانيا المسيحية.[5]

كانت أوضاع هذه المماليك غير مستقرة، فقد اتسمت العلاقات بالطابع العدائي في أغلب الأحوال، ودفعت كلا منهم إلى توسيع دولته على حساب الآخرين[6] بشتى الوسائل والأساليب والطرف، واستنجاد بعضهم على الآخر.[7]

[1] - ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ج2، 1980، ص 97.
[2] - ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس،تحقيق أحد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص 78. د سامية مصطفى مسعد :التكوين العنصري للشعب الأندلسي واثارها على سقوط الأندلسي (93ه/422م) .
[3] - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1974، ص 306.
[4] - عبد الواحد المراكشي: المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، 73
[5] - عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص 499.
[6] - فراد محمد أرزقي : القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي ،بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، 05-91 الساحة المركزية - بن عكنون، الجزائر، ص 104.
[7] - ر. الدوزي: ملوك الطوائف ونظريات في تاريخ الإسلام مترجمة بقلم كامل كيلاني، ط1، 1351 هـ- 1933 م، ص 6.

ومن مظاهر عدم الاستقرار السياسي كثرة النزاعات بين البيت الواحد طلبا للوصول إلى الحكم، فلا عجب بعد هذا أن تتسم علاقة ملوك الطوائف بالممالك النصرانية بالخضوع[1] فاستغل النصارى هذا الوضع وحاولوا اقتطاع بعض المناطق من المسلمين، فبدأ تقلص أراضي المسلمين تدريجيا، إلى أن تمكن ألفونسو (ألفونش) السادس من الاستيلاء على طليطلة عام (478 هـ/ 1085 م) فجعلها عاصمة لقشتالة ففصل بذلك شمال الأندلس عن جنوبها، وتمكن من تهديد الأندلس شرقا وجنوبا بسهولة[2] الأمر الذي مهد السبيل لقبول الأندلسيين للمرابطين كمنقذين، فضمت الأندلس بعد حملات يوسف ابن تشفين إلى الإمبراطورية المغربية الكبرى فيما بين سنتي: 483-502 هـ/ 1090-1108 م[3].

وما نستنتجه من خلال بعض المصادر والمراجع في هذا المجال هو الاختلاف في عدد دويلات ملوك الطوائف.[4] والاختلاف من حيث المساحة والقوة والضعف، ونظراً لأطماع الدويلات الكبيرة المحبة للتوسع، فبقاء دولة صغيرة أمر مستحيل.

من خلال هذه المعطيات، يصعب رسم حدود ثابتة لتلك الممالك التي لا تستقر على حال، ومهما يكن فإن هذه الممالك هي التي رسمت الخارطة السياسية للأندلس بعد زوال الخلافة، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

---

[1] - منيرة بنت عبد الرحمن الشوقي: علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية، كلية الآداب، الرياض، 1423 هـ/ 2002، ص 59.

[2] - نفسه، ص 60.

[3] - نفسه، نفس الصفحة

[4] - لم يحدد عدد الدويلات بشكل واضح، قد يرجع ذلك لهول النزاع أو لتكاثرهم العشوائي في مناطق حصينة أو نائية، إلا أن ابن عبد البر الأندلسي حدد الدويلات بست وعشرين دويلة، أنظر، ابن عبد البر (جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عصم النمري القرطبي)، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ش.م.م، ص 54.

1- الطائفة الأولى: ومثلها أهل الأندلس[1] وشملت الممالك الآتية:

أ – دولة بني جهور[2] بقرطبة[3]: 422 – 463 هـ / 1031 – 1070 م

ب– بنو القاسم الفهريون[4] في البونت[5]: 400 – 495 هـ / 1009 – 1102 م

ج– مملكة بني عباد اللخميين[6] بإشبيلية[7] 414 – 484 هـ / 1023 – 1091 م

د – مملكة بني هود الخذاميون[8] بسرقسطة[9] : 408 - 503 هـ / 1017 – 1110 م

هـ– بنو حمود الحسينيون[10] : 407 - 449 هـ / 1016 – 1057 م

---

[1] - المقصود بهم أهل البلاد الذين استقروا فيها منذ القديم، والذين انصهروا في البوتقة الإسبانية بمرور الزمن، حتى صاروا أندلسيين بالرغم من الاختلاف في أصولهم أنظر: أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص 255.

[2] - هو جهور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبيدة، كان من وزراء الدولة العامرية، قديم الرياسة موصوفا بالدهاء والعقل، صار له تدبير أهل قرطبة وهو أحد أعيان الجماعة، أوكلت له الرياسة بعد شغور منصب الخلافة لتسيير الفترة الانتقالية ومكث فيها حتى وفاته، سنة 435 هـ/ 1073 م ، أنظر، ابن شكوال: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج،س، كولان، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980، ج3، ص 185، النويري : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1984، ص 145، فراد محمد أرزقي: المرجع السابق، ص 31

[3] - قرطبة قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها ،أنظر، الحميري: المصدر السابق، ص 456.

[4] - بنو القاسم الفهريون :مع اندلاع فتنة الأندلس استقل عبد الله بن القاسم الفهري الذي هو من نسل عبد الملك بن قطن الفهري أحد ولاة الدولة الأموية في الأندلس لم يشارك الفهريون في أحداث الفتنة وإن كانوا يؤيدون الخلفاء من بني أمية:الحميري : المصدر السابق، ص56

[5] - البونت أو البنت وبالإسبانية alpuente، وهي قرية من أعمال بلنسية ينسب إليها صاحب الوثائق المجموعة عبد الله بن فتوح بن عبد الواحد، دخلت معركة السياسة بعد الفتنة بفضل جهود مؤسسها عبد الله بن القاسم، ثم خلفه إبنه محمد بن عبد الله الملقب بيمين الدولة، وينسبون إلى أسرة عربية من نسل عبد الملك بن قطن الفهري: أنظر، الحميري: المصدر السابق، ص 56، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص ص 260، 262.

[6] - بني عباد اللخميين:ينتمون إلى اللخميين ملوك العرب بالحيرة قبل الإسلام،أما مؤسس مملكتهم فهو القاضي محمد بن عباد الذي تزعم حركة الدفاع عن إشبيلية ضد الإسبان فوفق في ذلك ثم تغلب على عدد من الأمراء المجاورين ووطد أركان مملكته ودامت مملكة بني عباد سبعين سنة (414 -484هـ):ابن عذاري :المصدر السابق ج3 ص194

[7] - إشبيلية مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانين، وهي مدينة قديمة مؤسسها هو أبو الوليد إسماعيل ابن محمد بن عباد، وهم من قبيلة لخم اليمينية، وإسماعيل هذا كان قاضيا على إشبيلية وهو أول من تولى تسيير شؤونها أثناء الفتنة، ضعف بصره فولى مكانه ولده أبا القاسم محمد بن إسماعيل، ووصلت مملكة بني عباد على ذروة مجدها في عهد المعتمد بن عباد الذي تزخر المصادر الأندلسية بذكره حتى صارت مملكته تمتد من شرقي الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي غربا، والجزيرة الخضراء جنوبا، بسبب إتباع سياسة التوسع على حساب جيرانه الممالك ،أنظر، الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، مطبعة التقدم العلمية ط1، مصر 1320 هـ، ص 04، ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 97، محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 33.

[8] - بنو هود الخذاميون:ينسب أبو أيوب سليان بن محمد بن هود إلى أحد بيت بني خذام الأزديين في الأندلس، وفي فترة الفتنة كان سليمان بن هود من بين قادة جيش المنذر بن يحي التاجيبي، وبعد وفاة المنذر استولى على لاردة بعد أن قتل عاملها: ابن عذاري ،ج3،ط3، ص179.

[9] - سرقسطة: في شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، وهي أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمرة لكثرة الفواكه في بساتينها ،أنظر، الحميري: المصدر السابق، ص ص 96، 98، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، ط2، القاهرة، 1997، ص ص 104، 105.
استولى عليها سليمان بن محمد بن حمود، الذي كان واليا على لاردة ،أنظر إبن الخطيب: المصدر السابق، ص ص 170، 171، 173، ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج 3، ص ص 175/ 176، 180، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، ط2، القاهرة، 1958، ص 43.

[10] - نسبه: علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس، ظهر بنو حمود كمركز للخلافة في قرطبة العريقة أثناء الفتنة البربرية فأصبح علي بن حمود خليفة قرطبة وتلقب بالناصر لدين الله، ولي بعده أخوه القاسم بنو حمود الملقب بالمؤمون : أكثر تفاصيل عن دولة بنو حمود الحسينيون ، أنظر، البيان المغرب: المصدر السابق، ج3، ص ص 119، 138،أعمال الأعلام: القسم الثاني ، ص ص 130، 143، أبو عبد الله التنسي: تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق عبد الحميد حاجياتـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 55، 56.

2 – الطائفة الثانية: يمثلها العنصر البربري[1] الذي أسس الممالك الآتية:

أ – دولة بني برزال[2] في قرمونة[3]: 422 – 463 هـ / 1031 – 1070 م

ب– دولة بني يفرن[4]في رندة[5]: 400 – 495 هـ / 1009 – 1102 م

ج– دولة بنو دمر بمرور: [6] 414 - 484 هـ/ 1023 – 1091 م

د – إمارة بني خزرون[7] في أركش[8]: 402 – 461 هـ / 1011 – 1068 م

هـ–مملكة بني الزيري الصنهاجيون في غرناطة[9]: 203 – 483 هـ/1012 – 1090 م

و– بنو الأفطس[10] في بطالوس[11]: 413 – 488 هـ / 1022 – 1095 م

---

[1] - البربر عموماً من أصل حامد اختلطوا من قديم بأصول سامية، أما مؤرخوا العرب والبربر الذين عنوا بأنساب البربر وأحوالهم فيرجعون نسبهم إلى أصول عربية سامية ويقولون أنهم من أبناء قيس عدلان ويقسمونهم إلى قسمين هما:البرانس والبتر، وقالوا أن البرانس هم بنو برنس بن بربر، والبتر بنو مادغيش الأبتر بن بربر.
ارجع إلى : بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403 هـ- 1983 م ، ص 495، فجر الإسلام: حسن مؤنس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1422 هـ/2002 م، ص 421 ، أحمد بن عامر: الدولة الصنهاجية ، ص ص 09، 10، 11.،أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ص 13، 14، 15، 16.

[2] - بنو برزال :قبيلة أمازيغية من الفرع الزناتي في الجزائر الحالية، وقد أخذو العبور إلى الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وفي أواخر حكم العامريين عين الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن برزال حاكما على قرمونة، ظلت دولتهم قائمة حتى استولى عليها بني ذي النون دون قتال، ثم آلت فيما بعد إلى بني عباد، أنظر، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 498، ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج 3، ص ص 267، 268، حمدي عبد المنعم محمد حسيني، دراسات في التاريخ الاسلامي دولة بني برزال في قرمونة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص ص 03، 04.

[3] - قرمونة CARAMONA مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية، وبينها وبين استجه خمسة وأربعين ميلا، وهي مدينة كبيرة قديمة وهي باللسان الليطيني (لاتيني) – كارب مويه – وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة معناه «صديقي» الحميري: المصدر السابق، ص 461.

[4] - ينتسب بنو يفرن إلى قبيلة زناتة البربرية،إستقروا في ولاية تاكرونا واتخذوا من قلعتها رندة مركزا لرياستهم، وكان زعيمهم يومئذ هو أبو هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني: أنظر، ابن عذاري: البيان، ج3، ص 270، محمد عنان: دول الطوائف، ص 150، فراد محمد أرزقي: المرجع السابق، ص ص 80، 81.

[5] - رندة Ronda مدينة قديمة تشتهر بالعيون والأنهار وهي من مدن تاكرنا ،أنظر، الحميري: المصدر السابق، ص 269.

[6] -. كورة مرور متصلة بأحواز قرمونة، من جزيرة الأندلس وهي من الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب، ومدينة قلب قاعدة مورور ودار الولاية بها ،أنظر، الحميري: المصدر السابق، ص 564. قام بها أيام الفتنة نوح بن أبي تزيري الدمري، زعيم بني دمر وقد كان بنو دمر من بربر «تونس» ومن بطون زناتة، وكان مذهبهم إباضيا، وفد جدهم أبو تزيري إلى الأندلس أيام محمد أبي عامر المنصور، أنظر ، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص 239، ابن عذاري: البيان، ج2، ص 214، محمد عنان: دول الطوائف، ص 152، القوى المغربية في الأندلس، المرجع السابق، ص 80.

[7] - بنو خزرون هم من أبناء قبيلة برنيان أو أرنيان من زناتة، وكان زعيمهم أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري، وهو كغيره من زعماء البربر الوافدين على الأندلس أيام الدولة العامرية ،أنظر، محمد عنان: دول الطواف، ص 153.

[8] - أركش: حصن بالأندلس على وادي لكه، وهي مدينة أزلية قد خربت مرارا وعمرت وعندما زيتون كثير ،الحميري: المصدر السابق، ص 27 .

[9] - نسبة إلى زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر صاحب فاس من مغراوة ،أنظر، ابن خلدون: المصدر السابق، ص 179 ، نظمت مملكة غرناطة من طرف حبوس بن ماكس – موضوع بحثنا – الذي اتبع سياسة التوسع مما أدخل المملكة في صراع مع بني عباد ،أنظر :الأمير عبد الله بن بلقين (آخر ملوك بني زيري في غرناطة): مذكرات الأمير عبد الله، التبيان، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف المصرية، مصر 1955، ص 22، ص23.

[10] - ينسبون إلى عبد الله بن محمد بن مسلمة، الملقب بأبي الأفطس من بربر مكناسة الذين استقروا بالأندلس فتأقلموا مع أهلها وبعد وفاة سابور استولى ابن الأفطس على السلطة وبدأ يمارس نفوذه كملك ،أنظر: ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص 236، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 182، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 82.

[11] - تقع غربي مدينة قرطبة، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي : انظر، الحميري: المصدر السابق، ص 93.

ي – بنو ذي نون[1] في طيطلة[2]: 428 – 478 هـ / 1036 – 1085 م

ن – بنو رزين[3] بشنتمرية[4]: 403 – 497 هـ / 1012 – 1104 م

3- الطائفة الثالثة: يمثلون موالي العامرية أو الفتيان العامريون والذين حكموا بعد الفتنة الكبرى في المرية[5] و ومرسية[6] والدانية [7]، والجزائر[8] ، حيث صارت المرية ومرسية تحت حكم خيران العامري 405-415 هـ/ 1014 -1024م. ثم لزهير العمري، وبعدها انقسمت المدينتان وكمونتا إمارتي، المرية بني صمادح 433 هـ-484 هـ/ 1041م – 1081م،ومرسية من نصيب بني طاهر 425 هـ – 471هـ/ 1033م -1078م، أما دانية والجزائر فكانت من نصيب مجاهد العامري[9] 400-484 هـ / 1009 – 1091 م حتى ضمت من طرف بني حمود.[10]

---

[1] - يرجع نسب هذ الإسم إلى جدهم «دنون» وهم من أسرة بربرية من قبائل هوارة، تجمعت أعدادهم عند بلدة تسمى شنتمرية قرب طيطلة ،أنظر، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ص 176، 177، ابن خلدون: كتاب العبر، ج4، ص 347.
السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية، 1998، ص ص 51، 52

[2] - هي تعريب لأسم توليدوت Tholedoth بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة عكس خمسة وستون ميلا، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضا، ومنها إلى المرية في البحر الشاطئ تسع مراحل أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 393.
وهي مدينة عظيمة قد أحدق بها النهر المسمى تاجة، يقال أن هذه المدينة من بنيان الخزر، ويقال أنها من بنيان القرطبيين، وكانت دار ملكهم، وملك الروم من بعدهم، وأصح الروايات أنها من بنيان الخزر الذي كانو في عهد إبراهيم عليه السلام ،أنظر، الزهري (ابن عبد الله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافيا، المثنى، تحقيقه، محمد حاج صادق، بيروت، 1968، ص 83.

[3] - ينتسبون إلى هوارة، أحد بطون قبيلة البرنس البربرية الكبرى بعد الفتنة استقلو شنتمرية الشرق، بإسم جدهم الأعلى رزين البرنسي ،أنظر،ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 209، ابن عذاري: البيان، ج3، ذيله، ص 309، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 242.

[4] - شنتمرية: مدينة كثيرة العيون والحصون هناك شنتمرية الغرب أسسها بنو هارون أثناء فتنة الأندلس،وهناك شنتمرية الشرق وهي مدينة كبيرة تقع في شمال شرق الثغر الأوسط أسستها طائفة بني رزين على أجزاء من جنوب الثغر الأعلى وشمال الشرق الأوسط ، الحميري، المصدر السابق، ص 114.

[5] - مدينة بنيت في عهد الناصر لدين الله سنة 344 هـ/ 955 م وكانت في عصر الخلافة مركزا تجاريا ومطلبا للرزق، خاصة بعد الفتنة وتطورت في عهد بني صمادح، وتشتهر بالصناعات والأنهار، انظر، الحميري: المصدر السابق، ص 183، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص 265.

[6] تقع مرسية على نهر كبير، تشتهر بالحمامات والأسواق والبساتين ،انظر، الحميري: نفسه، ص 181

[7] - دانية :مدينة بشرق الأندلس مطلة على البحر عليها سور حصين ، كثيرة الكروم وتشتهر بصناعة السفن،انظر، الحميري، نفسه، ص 76.

[8] -الجزائر :هي مجموعة جزر تقع في البحر الأبيض المتوسط أي إلى الشرق من الأندلس وهي ميورقة ومنورقة وإيبسة: ابن عذاري،المصدر السابق، ج3،ط4،ص155.

[9] - نفسه، ج3، ص 155.

[10] - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 12، سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس 422هـ-488هـ/ 1030م-1095م وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي لسنة 1985-1986، ص ص 96، 97، 98.

في ظل هذه الظروف الصعبة والمعقدة التي شهدتها الأندلس بعد نهاية حكم الخلافة الأموية، وانقسام الدولة إلى دويلات متناحرة ومتصارعة أي ما يعرف بملوك الطوائف، تأسست دولة بني زيري بغرناطة.

***بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة:**

كانت غرناطة بعد زوال حكم الخلافة الأموية وانهيار الدولة العمرية من نصيب البربر.[1]

يعود نسب هذه الأسرة البربرية إلى قبيلة صنهاجة المشهورة[2] لما كان لها من عصبية قوية وبأس، وبالدور الهام الذي قامت به في بلاد المغرب الإسلامي طيلة مدة تقارب القرنين من السنين[3] وصنهاجة من البرانس الكبرى، وقيل أنهم من حمير من عرب اليمن، وليسوا من البربر، وتنسب صنهاجة إلى صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، وقيل هي فخذ من هوارة، وهوارة فخذ من حمير[4] وقد نفى ابن حزم نسبتها إلى حمير حيث قال: ادعت طوائف أن البربر ينتسبون إلى حمير، وهذا باطل لا شك فيه، إذ لم يكن لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي اليمن.[5]

وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة، منهم لمتونة، ومسوفة، وتلكانة، ولمطة، وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ، وكان الملك في طبقتين منها، هي تلكانة ملوك إفريقية والمغرب،

[1] - الأمير عبد الله: المصدر السابق: ص 07، ابن الخطيب، الإحاطة ، المصدر السابق، ص 140.
[2] - ابن خلكان: (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1367 هـ/1948 م، ص 257.
[3] - الدولة الصنهاجية: المرجع السابق، ص 09.
[4] - إبن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 1843، ص 75.
[5] - إبن حزم: جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص 495.

ومسوفة ولمثونة من الملشعين ملوك المغرب والأندلس، وكانت بلاد صنهاجة المغرب والصحراء.[1]

أولا:غرناطة في عهد زاوي بن زيري بن مناد(403-410هـ/1012-1019م):

يكنى ابى مثنى[2] وكان يلقب الحاجب المنصور، وكان له بنون، منهم بلقين بن زاوي، وجلالي بن زاوي،ووونا بن زاوي، وكان داهية البربر وأخبار دهائه كثيرة، ونوادر أفعاله مأثورة.[3]

قدم زاوي إلى الأندلس مع مجموعة من أقاربه، بسبب الحروب التي وقعت بينه وبين قريبه باديس بن منصور بن يوسف بن زيري صاحب إفريقية وبلاد المغرب[4] وذلك أيام المنصور محمد بن أبي عامر، صاحب الدولة الأموية في عهد الخليفة هشام المؤيد، وفي عهد الحاجب المظفر عبد الملك بن منصور محمد بن أبي عامر، وقد أكد ذلك الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة، الأقرب لتلك الفترة أن قدوم زاوي إلى الأندلس كان في عهد المنصور[5] وأن المنصور اعتمد عليهم في جيشه، وكان يصول بهم على العدو لفروسيتهم وشدتهم في القتال، ويستند عليهم في الرأي والمشورة دون غيرهم من الأجناد.[6]

---

[1] - ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج1، ص 266.
[2] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ع، ص 228
[3] - مريم قاسم الطويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت 1994 ، ص 75.
[4] - ابن بسام الشنتريني (أبي الحسن بن بسام علي الشنتريني) :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، م 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1364 هـ- 1945 م، ص 61.
[5] - عبد الله بن بلقين: التبيان، ص 16
[6] - المصدر نفسه، ص 16، مريم قاسم الطويل، المرجع نفسه، ص 88.

وقد ظل زاوي بن زيري على هذه الحالة إلى أن انهارت الدولة العامرية، واغتصب محمد بن هشام الملقب بالمهدي الخلافة في الأندلس 391 هـ/1008 م، فعامل المهدي البربر معاملة سيئة ثم حرض أهل قرطبة على مطاردتهم فقتلوا جماعة على رأسها حبوس بن ماكسن، مما دفع البربر إلى مناصرة سليمان بن الحكم وهو المنافس للمهدي ومساعدته بقوة السلاح على الوصول إلى كرسي الخلافة في عام 403هـ/1012م[1] فقام سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بتوزيع البربر على الكور والثغور(الثغر الأعلى والثغر الأدنى والأوسط)، فكان نصيب زاوي بن زيري أحد زعماء البربر، كورة إلبيرة (ELVIRA) فأقام فيها مع قومه واتخذ من مدينة إلبيرة عاصمة له، ونظرا لطبيعة المدينة الجغرافية التي لم تكن تصلح للدفاع عنها اختار موقعا آخر في السهل الواقع على مقربة منها في وادي شنيل المنحدر من جبال الثلج[2]على نهر دارو، واستحدث في هذا المكان مدينة وجعلها قاعدة لسلطانه وعاصمة لملكه، هي غرناطة، وذلك في سنة 403 هـ/1012 م.[3]

لقد حمى زاوي مدينة غرناطة ومدنها، وبناها وزادها تشييداً ومنعة، وأقام بها ملكا، وأثّل بها سلطانا لذويه على حد تعبير ابن الخطيب.[4]

كان هذا على المستوى الداخلي،أما على المستوى الخارجي فكانت لزاوي بن زيري بن مناد علاقة بمن حوله من حكام الأندلس.

---

[1] - فراد محمد أرزقي: المرجع السابق، ص ص 58، 59

[2] -جبل الثلج:أو جبال شلير وهوجبل الثلج المشهور بالأندلس وهو بإزاء جبل إلبيرة، وهو متصل بالبحر المتوسط مقتطع بجبل راية ويذكر ساكنوه أنهم لا يزالون يرون الثلج نازلا فيه شتاء وصيفا وفي هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة،وفي قراه المتصلة به يكون أفضل الحرير والكتان الذي يفضل كتان الفيوم ،الزهري:(أبو عبد الله محمد بن أبي بكرالزهري)،اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق،دون طبعة، دمشق 1968م،ص93-94.

[3] - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، : ج6، ص 179، الدكتور محمد سهيل صقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس (91- 897 هـ) 710-1492 م)، كلية الدراسات الإسلامية، دار النفاس، ط2، 1429هـ/2008 م ، ص ص 446، 447.

[4] - ابن الخطيب، الإحاطة، ص 440-441

أ – مشاركة زاوي في خلع سليمان المستعين وتعيين بن حمود مكانه عام(407 هـ/1016 م):

لما أراد علي بن حمود الحسيني الهاشمي، صاحب قرطبة احتلال عرش سليمان المستعين بقرطبة، وافقه في ذلك خيران العامري صاحب ألمرية وعند وصولهما إلى غرناطة انضم إليهما زاوي بن زيري وسار معهما إلى قرطبة برفقة ابن أخيه، حبوس بن ماكسن بن زيري، وإخوته وبني عمه الصنهاجيين، ولما سمع المستعين بقدومهم خرج إليهم، فانهزم المستعين وأخذ أسيرا، فحمل إلى علي بن حمود ومعه أبوه وأخوه، فقتلهم جميعا، ودخل على قصر الخلافة بقرطبة، ودعا الناس إلى بيعته فبويع في المحرم سنة 407 هـ/1016 م، وتسمى بأمير المؤمنين وقيل بالمتوكل على الله.[1]

ب –انتصار زاوي على المرتضى بظاهر غرناطة: (409هـ/1018م).

كانت لزاوي وقائع مع الخليفة المرتضى سنة 409هـ/1018م هزم فيها المرتضى، ذلك أن المرتضى زحف هو وحلفائه وفي مقدمتهم خيران العامري وصاحبه زهير العامري، ومنذر بن يحي التجيبي أمير سرقسطة والثغر الأعلى، وإسماعيل بن عبد الرحمان بن ذي النون صاحب طليطلة خوفا منهم من ازدياد قوة بني زيري حسب قول الأمير عبد الله بن بلقين.[2]

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 94

[2] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 22، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة) مكتبة الأنجلو المصرية، 1986، ط2، ص 260.

رغم انتصار زاوي بن زيري على جموع أهل الأندلس لم يطمئن إلى تقلب الأيام، فنصح قومه بالرحيل عن الأندلس إلى إفريقية خشية أن يتحالف عليهم الأندلسيون، لكن قومه رفضوا الرحيل معه، فرحل سنة 410 هـ/1019م هو وأسرته وقسم من قومه إلى القيروان، بعد أن خلف على حاكم غرناطة ابن أخيه حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد.[1]

ثانيا: غرناطة في عهد حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد: (410-429هـ/1019-1037م):

*توليه السلطة:

لما قرر زاوي الرحيل عن الأندلس، سعى الفقيه ابن أبي زمنين، قاضي غرناطة،[2] إلى تعيين حبوس بن ماكسن ابن أخي زيري لولايتها ، فبادر حبوس بالسير إلى غرناطة ودخلها في موكبه وطبوله[3] واحتلها فلم يعارضه أحد من قومه، وتربع في رياستها من وقته، وقيل أن عمه زاوي اختاره ليخلفه قبل رحيله وقيل من جهة أخرى إن نزاعا حدث بسبب ذلك، بينه وبين ابن عمه جلالي بن زيري، ولكنه انتهى برحيل جلالي ولحاقه بأبيه، وخلصت له الرياسة[4] ومن ذلك الحين تبدأ بغرناطة دولة بني زيري بن مناد.[5]

[1] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 229، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 447، عبد القادر قلاتي: الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، ط1، بئر توتة، الجزائر، ص 111، 112، عبد الله بن بلقين، البيان، ص 24، 25.
[2] - ابن الخطيب: الإحاطة، المجلد1، ص 477
[3] - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 124، إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 43
[4] - الأمير عبد الله: التبيان، المصدر السابق، ص 25.
[5] - محمد عبد الله: نفسه، نفس الصفحة.

لما ثبت قدم حبوس[1] ابن ماكسن بن زيري بن مناد بغرناطة استظهر عليها بجماعة من قومه، وجماعة وافرة من قبيلته فبنى ملكا شامخا، وغلب نظراءه[2] واستولى على كورتي جيان[3] وقبرة.[4]

يقول الأمير عبد الله بن بلقين (آخر ملوك بني زيري في غرناطة) في شخصه: «أنه سار بأجمل سيرة وأعدل طريقة، وصرف أحكامه أجمع إلى قضاة البلاد، وأنه كان متعطفا عن كل شيء كما قل في عهده الفساد وارتفع الجور وكان الرجل محبا في أقاربه وبني عمه، لم يستأثر عليهم بشيء وقسم عليهم البلاد وكان عمه كل إنسان منهم سلطانا في ناحيته، قد حاز جهته وانفرد بعسكره، وكان حبوس بن ماكسن لا ينفرد برأي دونهم ولا يقطع مقطعا إلا بمشورتهم، حتى أنهم ليجتمعون معه للحكم في موضع خارج قصره دون السير إليه، وذلك استحسانا منه، كي لا يحصل عليهم ما يقع في أنفسهم منه ذلة وينتقمون عليه، وكان رفيقا بهم محسنا إليهم مؤلفا لكلمتهم» ، فكانت له بهم الصولة على الناس والاستطالة على العدو، وما كان كل أحد يرى تركه غنيمة والسلامة منه من أعظم الفائدة فضلا أن تطمع في شيء من جهاته، أو تحدثه نفسه بغزو بعض بلاده.

---

[1] - حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، يكنى أبا مسعود ويلقب بالحاجب، وهو لقب ملكي، وبسيف الدولة وهو لقب التشريف، ملك إلبيرة وغرناطة وما ولاهما: ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 477، مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 105.

[2] - ابن الخطيب:أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 229.

[3] - جيان: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا، وهي كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاث ألاف قرية كلها يربى فيها دور الحرير وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلي وسار الحبوب، وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير عليه أرجاء كثيرا جدا، بها معبد وجامع وعلماء، كثيرة العيون، ولكورة جيان أقاليم عدة منها كورة إلبيرة ، أنظر، الحميري: المصدر السابق ص 183.

[4] - قبرة: مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا، ذات مياه سائغة من عيون شتى، منها العين التي عليها النهر الذي هناك مخرجه من ناحية الجبل شيتة: الحميري نفسه، ص 453.

هكذا كانت أعمال حبوس الإدارية، حيث قسم البلاد على أقاربه وبني عمه فأنفرد كل واحد منهم بعسكره على الجهة التي تولاها، وكان يستشيرهم في كل مسألة، فكانت لهم بهم الصولة على الناس والإستطاعة على العدو. [1]

يروي إن الخطيب أن المكانة الكبيرة التي تبوأها إسماعيل بن نغرالة اليهودي في عهد حبوس، ككاتب له ووزير أول، مكنت اليهود من التصرف بكثير من الشؤون الإدارية والمالية، لأن إسماعيل كان يختار الموظفين منهم[2] لذلك نظم حبوس جيشا قويا يقوم بحماية بلاده من كل خطر محتمل، سواء من الداخل أو الخارج، ففي أيامه اتسع نظر غرناطة فصارت قبرة إضافة إلى جيان ضمن أعمال غرناطة[3]، كما أكمل حبوس بناء مدينة غرناطة وأقام له فيها بلاطا فخماً، وفي هذا يروي المقري أن حبوس بنى مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها.[4]

اختلفت المصادر عن تاريخ وفاة حبوس،إلا أن الإجماع حدد تاريخ وفاته في رمضان من عام 429هـ/1037م[5]وقد أعقب حبوس ولدين هم باديس البكر وبلقين الأصغر سنا.

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 25، 26
[2] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 438.
[3] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 229
[4] - المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ص 150
[5] - ابن الخطيب : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ثالثا: غرناطة في عهد باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد : (429 – 465 هـ/1073 م)

* توليه السلطة:

هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ، ولقب باديس[1] أبو مناد[2]، وقيل أبا مسعود[3]، ويلقب بالحاجب المظفر بالله الناصر لدين الله، وقيل الحاجب المظفر، وقيل بالمظفر بالله الناصر لدين الله، وقيل بالمظفر.[4]

لما توفي حبوس بن ماكسن ترك ولدين، باديس وبلقين ونظرا لأن حبوس لم يولي أحدهما العهد في حياته فقد قام خلاف بشأن من يتولى الأمر بعده، فحاول بعض البربر وبعض اليهود (وكانو جماعة كبيرة العدد قوية النفوذ في غرناطة) رفع بلقين إلى العرش، إلا أن تيارآخر –وفي مقدمتهم اسماعيل بن نغزالة– كان يميل إلى باديس[5].

بعد ما اشتد النزاع وأوشك أن يتحول إلى حرب أهلية[6] أعلن بلقين من تلقاء نفسه تنازله عن العرش لصالح أخيه ولما أقسم يمين الولاء لباديس اضطر أنصاره إلى أن يحذو حذوه، وبذلك أصبح أبو مناد باديس رئيسا لصنهاجة خلفا لأبيه وملكا غير منازع لمملكة غرناطة.[7]

---

[1] - ابن عذاري: البيان، ج3، المصدر السابق، ص 262.
[2] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، 230.
[3] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 119
[4] - ابن الخطيب: نفسه، نفس الصفحة، مريم قاسم الطويل: نفسه، نفس الصفحة.
[5] - ابن حزم: المصدر السابق، ص 10.
[6] - الدوزي: المصدر السابق، ص 52
[7] - اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 57.

وقد وصفه ابن الخطيب قائلا: « كان رئيسا بئسا، طاغية جباراً شجاعا، داهية، حازما، جلداً شديد الأمر سديد الرأي بعيد الهمة، مأثور الإقدام، شره السيف، وأري زناد الشر، جماعة للمال، ضخمت به الدولة، ونهبت الألقاب، وأمنت لحمايته الرعايا، وضم تحت جناح سيفه العمران واتسع بطاعته المرهبة الجوانب ببأسه النظر، وانفسخ الملك، وكان ميمون الطائر مطعم الظفر مصنوعا له في الأعداء يقنع أقتاله (أمثاله) يسلمه ولا يطمع أعداؤه في حربه».[1]

وقال الفتح في قلائده: « كان باديس بن حبوس بغرناطة عاثيا في فريقه عادلا عن سنن العدل وطريقه، يجتري على الله غير مراقب ويسرى إلى ما شاء غير ملتفت، قد حجب سنانه لسانه، وسبقت إساءته إحسانه، ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، ولم يشرب الماء إلا من قليب ذم، أحزم من كاد ومكر، وأجرم من راح وابتكر وما زال مقتدا في ماحبه، متفقدا لنواحيه، لا يرام بريت ولا عجل ولا يبيت له جار إلا على وجل ».[2]

لقي باديس مصاعب في بداية حكمه لاسيما من ابن عمه يدير بن حباسة بن ماكسن، الذي قام بتحريض شقيق باديس على قتل أخيه، فتشتت أقواما من صنهاجة حتى صاروا عددا لا يستهان به يميلون إلى يدير.

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، المصدر السابق، ص 435.
[2] - الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، مصورة عن طبعة باريس، قدم له ووضع فهارسه، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1386هـ/1966م، ص 20.

وقد أشار إلى هذا عبد الله بن بلقين في كتابه التبيان قائلا: » فلما ولى باديس، كثر عليه الخلاف والهرج، واتفق رأيهم على قتله وتولية يدير وأعطى على ذلك أقواما المثاقيل والصكوك بالإنزالات القوية».[1]

وكان هؤلاء المتآمرون قد شاركوا اسماعيل ابن نغرالة في مؤمراتهم، الذي كان باديس، عند توليه الحكم، قد أبقاه كوزير أول، كما كان في عهد أبيه حبوس[2] فتظاهر اسماعيل بالقبول وتقدم إلى باديس وأخبره بالأمر ليسمع بنفسه مشاوراتهم من مكان قريب عند اجتماعهم في منزله.

وهكذا فشلت المؤامرة التي دبرها يدير بن حباسة ضد باديس[3] الذي هم بقتل عدد من رجال صنهاجة الذين اشتركوا في تلك المؤامرة، إلا أن كاتبه اليهودي أشار عليه بعدم قتلهم فعمل بنصيحته خوفا من الفتنة.[4]

عمل باديس على توطيد الدولة بغرناطة ونظم مراتبها وعملاتها ،امتد سلطانه مابين كورتي بسطة وجيان شرقا إلى أبواب إستجة ومالقة ورندة غربا،ما تحت من إقليم قرطبة[5].زاد باديس في عمارة غرناطة وأكمل تشييد قصبتها التي كان قد بناها والده ووسع في رقعتها.

كما شيد باديس حصون غرناطة وحصن أسوارها وأنشأ سورا ضخما حول الربوة التي تقع عليها القصبة و هذا ما ذهب إليه الأمير عبد الله في قوله:(وبنى قصبتها بنيانا لم يقدر على

[1] - عبد الله بن بلقين: التبيان، المصدر السابق، ص 32.
[2] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق2، المصدرالسابق، ص 230.
[3] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 32.
[4] - نفسه: نفسه، ص33
[5] ابن الخطيب ، المصدر نفسه،ص230،عبد القادر قلاتي :المرجع السابق ص428.

مثله أحد في زمانه)[1].وقد شرع في إعادة تشييدها في عام 449هـ/1057م وانتهى منها في 455هـ/1063م،مازالت آثارها باقية إلى اليوم.[2]

وكانت تلك الحصون والمباني التي زين باديس بها العاصمة غرناطة رمز قوة بني زيري في الأندلس.[3]

رابعا:غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد:(467-483هـ/1074-1090م)

*** توليه السلطة:**

لما توفي باديس بن حبوس في سنة 465هـ/1073م اتفق مستشاروه رجال دولته وأشياخ صنهاجة على تقديم عبد الله بن بلقين فأخذوا له البيعة على الناس ولقبوه المظفر بالله، الناصر لدين الله، وقد عدلوا إليه عن تقديم عمه، ماكسن بن باديس الذي كان واليا من قبل أبيه على جيان، بسبب ما اشتهر به من سوء السجية وإنهاكه واجترائه عن سفك الدماء.[4]

وكان عبد الله هذا منذ ولايته الأمر صبيا صغيراً لم يقارب الحلم، وقد كانت غرناطة إذ ذلك حافلة بأعلام العلماء وحملة السيوف والأقلام، ومع ذلك فقد انفرد بتربية عبد الله وبتدبير ملكه الوزير الصنهاجي، سماحة الذي استقل بشؤون الدولة في مملكة غرناطة.[5]

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 43.
[2] - محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ، ص137،محمد سهيل طقوشي: المرجع السابق ص448
[3] - مريم قاسم الطويل :المرجع السابق، ص144.
[4] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص 234.
[5] - ابن الخطيب: نفسه ، ق2، ص234

لم تكن دولة الأمير عبد الله إلا سلسلة طويلة من الاضطرابات داخل المملكة من جهة والمشادات المسلحة مع جيرانه من الأمراء المسلمين ومع ملك قشتالة من جهة أخرى[1]

وأما ولاية مالقة فقد كان على رأسها تميم بن بلقين شقيق عبد الله الذي تلقب بالمعز بالله، والذي كان قد عينه في هذا المنصب في حياة جده باديس.[2]

*** مشاكل غرناطة في عهد الأمير عبد الله الداخلية والخارجية:**

1 – مشاكل غرناطة الداخلية في عهد الأمير عبد الله بن بلقين

أ – عزل الوزير سماحة:[3]

عمل عبد الله بن بلقين على إزالة وزيره سماحة، بسبب غليانه في الاستئثار بالسلطة والاستبداد بالأمور–حسبما يحدثنا بذلك الأمير عبد الله في مذكراته– أنه سمح له أن يسير في أهله وأمواله الطائلة إلى المرية، حيث نزل بها في كنف صاحبها ابن صمادح، واستقر هناك.[4]

ب –عبد الله ينهي تمرد ابن تاقنوت بغرناطة وجريشة:

وقع في نفس بني تاقنوت صاحب مدينة غرناطة وجريشة التي كانت بيد أخيه، الخوف والرعب نتيجة تأديب الأمير عبد الله لوزيره سماحة الصنهاجي، وظهوره على أخيه

[1] - مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص7،ص8
[2] - ابن عذاري: البيان، ج3، المصدر السابق، ص 266
[3] - مذكرات الأمير عبد الله، المصدر السابق، ص 84.
[4] - عبد الله بن بلقين : نفسه، ص ص 87، 88.

تميم بمالقة، وأحس بأنه سيكون هو المستهدف هذه المرة وكان الأمير قد عزم على التخلص منه لتعامله مع أهل غرناطة بالقسوة وسوء التدبير.

وقد روى الأمير عبد الله في مذكراته أن ابن تاقنوت صاحب مدينة غرناطة، وأخاه صاحب حصن جريشة، قد أظهر نفاقا للأمير عبد الله، وتعاقد مع كباب بن تميت قائد معقلي ارجذونة وانتقيرة واتفقا معا على ألا ينعزل أحدهما إلا بعزلة الآخر متى أراد الأمير عزلهما.[1]

أراد الأمير عبد الله في بداية الأمر، أن يتخلص علي ابن تاقنوت سلما على أن يتوسط المعتمد بن عباد بينهما، فأرسل المعتمد رسوله ابن الأصبعي إلى ابن تاقنوت يطلب منه التنازل عن الحصن لصالح عبد الله، إلا أنه رفض هذا العرض، فنزل عبد الله حصن جريشة ودخله عنوة وقبض على ابن تاقنوت فقتله.[2]

ج – كباب وتمرده على الأمير عبد الله بن بلقين:

كان كباب بن تميت قائدا معقلي ارجوذونة وانتقرة أظهر هذا الأخير معصيته للأمير عبد الله وخروجه عن طاعته طلب الأمير عبد الله من كباب أن يتخلى على المعقلين، فأبى ذلك وزاد في طغيانه، فأمر عبد الله بضم الأجناد لقتاله، ولما أحس كباب من نفسه بالضعف ترامى على عبد الله وسأله العفو.[3]

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 96
[2] - نفسه، نفسه، ص ص 95، 96
[3] - نفسه، نفسه، ص ص 96، 97.

د- عبد الله وثورته ضد ابن ميمون اليهودي بمدينة اليسانة:

عند رفض أهل اليسانة دفع ما طلب منهم عبد الله من المال لتقوية جيشه وتحسين الوضع في غرناطة، أرسل عبد الله جنده إلى المدينة المذكورة فاحتلها وقبض على ابن ميمون.

هـ- عبد الله وثورته ضد وزيره مؤمل بمدينة لورشة:

اكتشف الأمير عبد الله مؤامرة بمدينة غرناطة، تزعمها كاتبه البراء، وكبار القواد جيشه من زناتة[1] وكبار العبيد وعلى رأسهم لبيب الخصي، فأمر عندئذ بإخراج مائة فارس زناتي عن غرناطة، ثم أعقبهم اثنين من شيوخ العبيد وكان وزيره مؤمل آنذاك خارج غرناطة فلحق به هؤلاء بصحبة ابن البراء، وأعلموه بما جرى معهم، فخاف على نفسه، من أن يكون مصيره كمصيرهم، فقصد معهم مدينة لورشة، إذ كانوا جميعا على اتفاق مسبق مع بني مالك ملك لورشة، دخل مؤمل وصحبه قصبة لورشة وجمع الجند والرعية[2] وأوهمهم أنه لجأ إليهم للتخلص من براثن النصارى الذين استحوذوا على غرناطة ومقدراتها، وحملهم على الوقوف بجانبه، وخاطب ملوك الطوائف، حتى صاحب مالقة تميم بن بلقين، فلم يجبه أحد، ولما يئس منهم أرسل إلى يوسف بن تاشفين يزور عنده الأمر ويكذب، وخاطب كذلك أهل حصون غربي غرناطة يأمرهم بالخلاف والتطبيق على الحاضرة غرناطة، وعندما شك أهل

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق ، ملحق الكتاب البيان، المغرب لابن عذاري، ص 206.
[2] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 158.

تلك الحصون بنوايا مؤمل بادروا إلى منازلته طالبين العون من عبد الله، فأرسل عبد الله عسكره إلى لورشة وقبض على مؤمل ومن معه.[1]

وقد ذكر الأمير عبد الله بن بلقين حفيد باديس أن مؤمل ، كان من عبيد جده عنده دهاء وفطنة ورأي ونظر، نسبت إليه بغرناطة آثار منها السقاية بباب الفخارين والحور المعروفة بحور مؤمل.توفي مؤمل بغرناطة عام 492هـ.

و- عبد الله وموقفه من تمرد القائد نعمان في حصون غرناطة الغربية:

استعمل القائد نعمان الحيلة على أميره عبد الله، حتى يسمح له بالخروج من غرناطة اتجاه بلاد المغرب، ليتصل بيوسف بن تاشفين، وعند وصوله بلاد المغرب أخذ يسعى على عبد الله مدعيا أنه نفاه من بلاده، فأثارت غضب يوسف بن تاشفين.[2]

ي- ثورة أيوب بن مطروح بغرناطة:

ثار أيوب على أميره عبد الله، وخاض بحار الفتنة ليحكم غرناطة مكانه، ولكنه فشل، وعفا عنه عبد الله، ولما خلع ابن تاشفين عبد الله سنة 483هـ/1090م وأخذ منه غرناطة مات أيوب.[3]

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق.أكثر تفاصيل عن مؤمل:انظر، التبيان ص ص209-210
[2] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 139.
[3] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 157.

2 – مشاكل غرناطة الخارجية في عهد الأمير عبد الله بن بلقين:

أ – علاقة عبد الله بن بلقين بأخيه تميم صاحب مالقة:

تولى تميم شؤون مالقة منذ عهد جده باديس، إلا أن تميم لم يعترف بسلطان أخيه حيث أعلن الاستقلال بمالقة عام 469هـ/1076 م، وظل هذا التقسيم قائما بين غرناطة ومالقة، إلى تاريخ مجيئ المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين عام 483 هـ/1090 م.[1]

ب– علاقة الأمير عبد الله بن بلقين بالمعتصم بن صمادح صاحب المرية:

يروي الأمير عبد الله في مذكراته أن تآمر وقع بين سماجة والمعتصم ابن صمادح صاحب المرية على دولة غرناطة وبعض الحصون المجاورة لها[2] سارع خلالها الأمير عبد الله إلى إعادة تحسين بعض القلاع والحصون الواقعة قرب المرية، ثم وضع حاميات قوية فيها، بحيث تشكل خطا دفاعيا قويا لمملكة غرناطة، دخل ابن صمادح في سلسلة من المعارك مع عبد الله لكنه خسرها كلها.[3]

ج – علاقة الأمير عبد الله بالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية:

بعد رفض الأمير عبد الله دفع الجزية للملك الإسباني ألفونسو السادس، انتهز المعتمد بن عباد الفرصة وبعض وزراءه ابن عمار إلى ألفونسو[4] اتفق الطرفان على افتتاح غرناطة، على أن تكون مدينة غرناطة للمعتمد، وأن يكون سائر ما فيها من الأموال لألفنسو السادس،

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 90
[2] - نفسه، ص ص 88، 89.
[3] - اسماعيل العر بي: المرجع السابق ص 160، مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص 156
[4] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 69.

أمده ألفونسو بسرية من جنده، فبنى ابن عمار على مقربة من غرناطة حصن كمحطة ينطلق منها إلى غرناطة، إلا أنه انهزم في هذه المعركة وتراجع هو وجنده إلى إشبيلية.

عاد المعتمد بعد هذه الهزيمة إلى ألفونسو، وحرضه على احتلال غرناطة، فقدم ألفونسو بنفسه إلى غرناطة على رأس جيش ومعه جيش ابن عمار، وعند وصوله إلى أبواب غرناطة أرسل عبد الله يأمره بالخروج إليه. فدفع عبد الله بن بلقين لألفونسو مبلغ من المال ووعده بدفع الباقي لاحقا.

وأخيرا تم عقد الصلح والمهانة بين عبد الله والمعتمد بن عباد أواخر سنة 477هـ/1084م.[1]

د- علاقة عبد الله بن بلقين بألفونسو السادس ملك قشتالة:

كان ملوك الطوائف يدفعون الجزية لملك قشتالة وليون «ألفونسو السادس» بما فيهم الأمير عبد الله بن بلقين، ولما ظهر بالعداوة المغربية أمير المرابطين يوسف ابن تاشفين[2] تعلقت أمالهم بإعانته، واتفق أمراء الأندلس على أن يتحدوا جميعا بمعونة أمير المسلمين على غزو قشتالة.[3]

ولعل أول مواجهة نشأت بين عبد الله بن بلقين والملك ألفونسو السادس، هي عندما رفض عبد الله دفع الجزية السنوية لألفنسو، ذلك أنه لم يكن يخشى ضراً من ألفونسو في البداية كون مملكته تقع بعيداً عن مملكة الملك ألفونسو.[4]

[1] - عبد الله بن بلقين :المصدر السابق ، ص 71، 72.
[2] -عبد الله بن بلقين :نفسه، ص،ص71 ،72 .
[3] - نفسه، نفسه، ص 103.
[4] - نفسه، نفسه، ص 69

إلا أن عبد الله انصاع في الأخير لمهادنة الملك ومصالحته فعاقده على أن يعطيه ضريبة سنوية مقدارها عشرة ألاف مثقال، واشترط عليه ألفونسو أن لا يتأخر في تأديتها.[1]

1 – عبد الله يتنازل لألفونسو عن حصون وقلاع تابعة لغرناطة:

أسرع ألفونسو السادس إلى احتلال بعض الحصون التابعة لمملكة غرناطة كحصن إشطبه[2] وذلك بعدما زين له ذلك ابن عمار وزير المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية مقابل أموال مقدمة من ألفونسو السادس، ولم تمض أسابيع عما ذكر، حتى وقعت طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة[3] حدث اهتزت لها لأندلس من أقصاها إلى أقصاها.

كان سقوط طليطلة ضربة قاسية في نفوس ملوك الطوائف، أرادوا حينها جمع الكلمة، والإستنجاد بإخوانهم فيما وراء البحر، ويبعثون بصريخهم إلى عاهل المرابطين الأمير يوسف بن تاشفين.[4]

2 – عبد الله ومشاركته في معركة الزلاقة (479هـ/1086م) ضد ألفونسو:

من أهم أسباب وقوع معركة الزلاقة غارات ألفونسو السادس على مدن الأندلس ومعاقلها، ولعل العامل الجوهري في ذلك هو سقوط طليطلة ، الشيئ الذي حمل ملوك الطوائف على أن يتجهوا إلى الاستنصار بالمرابطين.[5]

---

[1] عبد الله بن بلقين،التبيان، ص 76

[2] - نفسه، ص 75

[3] - نفسه، نفسه، نفس الصفحة.

[4] - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 143.

[5] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص ص 101، 102.

بعد أن تمكن ملك قشتالة من طليطلة في صفر عام 478هـ/1085م طمع في الاستيلاء على سائر ممالك الأندلس، ولم يعد يقتنع بالجزية، فاشتد خوف ملوك الطوائف لكون طليطلة واسطة عقد الأندلس ونقطة دائرتها، فاستنجدوا بذلك بالمرابطين.

وكان الأمير عبد الله واحداً من بين هؤلاء الأمراء المستغيثين عندما شعر بالخطر يداهمه من قبل أحد قواد ألفونسو الذي كان يقيم في حصن لييط، يدعى غرسية ففي عام 478 هـ/ 1085 م، زحف بعسكره إلى غرناطة، فجرت بينه وبين عبد الله معارك وكان الخطر آنذاك عظيماً على غرناطة.[1]

وهكذا عزم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، بعد استشارة الفقهاء بأمر العبور إلى الأندلس، وقرر أن يلبي صريخ أهلها وأن يبادر إلى غوثهم ولم يكن شك في أن يوسف وقومه المرابطين كانت تحدوهم نزعة الجهاد في سبيل الله.[2]

نزل أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ثغر الجزيرة الخضراء، في يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة 479 هـ/1086م وجيوشه الجرارة تحيط بها من كل صوب، وما كادت تطأ قدماه أرض الأندلس حتى سجد لله شكراً، ثم أخذ في تحصين الجزيرة وإصلاح أسوارها وأبراجها، ورتب لها حامية خاصة من جنده، ثم سار في قواته صوب إشبيلية.[3]

وقد ورد في مذكرات الأمير عبد الله، أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، على إثر وصوله الأندلس استقبله ملوك الطوائف ، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد الذي قدم إليه من

[1] - مريم قاسم الطويل : المرجع السابق، ص 160.
[2] - عبد الله بن بلقين: المصدرالسابق ، ص 104
[3] - عبد الله بن بلقين :نفسه ،ص 103

الهدايا والتحف والذخائر الملكية ما لم يظنه ابن تاشفين عند ملك، وأن المعتصم بن صمادح لقيه أيضا بهدايا فاخرة، وتحف جليلة، فكان هذا أول ما وقع في نفس ابن تاشفين التشوق إلى احتلال الأندلس.[1]

أرسل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عند حلوله بإشبيلية جميع ملوك الطوائف للاجتماع معه، إستعداداً للتوجه جميعا إلى إشبيلية كلهم لبوا إلا ابن صمادح الذي بعث ابنه مكانه معتذرا على عدم حضوره بنفسه لتقدم سنه، ولعجزه عن السفر، ولكن ابن صمادح في الحقيقة إنما كان يريد فيما يخبرنا عبد الله، أن يتجنب الالتزام بشيء قبل أن يرى أي اتجاه تتخذه الحوادث.[2]

وقد كان من بين الملوك الذين استجابوا وحضروا المؤتمر بأنفسهم عبد الله الصنهاجي الذي يقول بشأنه في مذكراته: « وبادرنا نحن إلى الخروج وسرنا بذلك وأعددنا ما استطعنا عليه للجهاد بأموالنا ورجالنا وقدمنا الهدايا إلى أمير المسلمين، وأمرنا بضرب الطبل وما يستعد به للفرح... وظننا أن إقباله على الأندلس منه من الله عظمت لدينا، لاسيما وخاصة من القرابة، والذي شاع من خيرهم وإقبالهم على الأخرة، وحكمهم بالحق فنعمل بأنفسنا وأموالنا في الجهاد معه كل عام، فمن عاش منا كان عزيزا تحت ستر وحماية، ومن مات كان شهيدا.[3]

[1] - عبد الله بن بلقين،التبيان، ص 102، مريم قاسم الطويل: المرجع نفسه، ص 162، عنان، المرجع السابق، ص 309.
[2] - عبد الله بن بلقين:المصدر السابق، ص 104.
[3] - نفسه، نفس الصفحة

ويمضي ملك غرناطة في مذكراته فيقول: « ولقينا أمير المسلمين في طريقه إلى بطليوس بجريشة، ورأينا من إكرامه لنا وتحفيه بنا ما زادنا فيه رغبة استطعنا أن نمنحه لحومنا فضلا عن أموالنا».[1]

سار جيش المرابطين ومعه جيش المعتمد وجيوش بقية ملوك الطوائف التي وضعت تحت قيادة ملك إشبيلية في اتجاه بطليوس حيث انضم إليهم جيش المتوكل بن الأفطس ثم اتجه الجميع نحو طليطلة حيث كان النصارى في انتظارهم، وقد التقى جيش ألفونسو السادس بجيوش المسلمين في مكان غير بعيد عن بطليوس يسمى الزلاقة[2] وقبل أن يتمكن الملك النصراني من نصب خيامه تلقى رسالة من يوسف بن تاشفين يدعوه فيها إلى الإسلام ودفع الجزية أو يعلن الحرب عليه، وقد رد عليه ألفونسو بلهجة قاسية قائلا: «إن المسلمين يدفعون له الجزية من عشر سنوات وأنه لا يخشى الحرب، حيث أن تحت تصرفه جيش كبير»[3]

استقرت الجيوش النصرانية في مكان يبعد نحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي، يفصل بينها وبين المسلمين فرع وادي يأنة الممتد شمالا في اتجاه نهر «التاجة» والذي يسمى اليوم «جريرو» وجعل ألفونسو على مقدمة جيشه قائده البرهانش، وكانت تتألف في معظمها من جنود أراجون، والمتطوعة، وقد اختلفت الرواية في تقدير قوات المسلمين والنصارى، وتقدر بعض الروايات العربية جيش النصارى بثمانين ألف مقاتل ويقدرها البعض الآخر بخمسين

[1] - عبد الله بن بلقين ،التبيان ، ص104 .
[2] - شوقي أبو خليل: الزلاقة بقيادة يوسف ابن تاشفين، دار الفكر العاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1980، ص 43
[3] - إسماعيل العربي:المرجع السابق، ص 173

ألفا وأربعين ألفا، وأما الجيش الإسلامي فيقدرها البعض بثمانية وأربعين ألفا والبعض الآخر بعشرين ألفا، على أنه يبدو من الروايات المختلفة أن النصارى كانوا يفوقون المسلمين في العدد[1] وكان الجيش الإسلامي ينقسم إلى وحدتين كبيرتين: قوات الأندلس وتحتل المقدمة ويقودها المعتمد بن عباد، ويقود منها المتوكل بن الأفطس قوات الميمنة ، ويشغل أهل شرقي الأندلس المسيرة ، وأما القوات المرابطية فكانت تحتل المؤخرة وتنقسم إلى قسمين، يضم الأول فرسان البربر من سائر القبائل، ويتولى قيادته داود بن عائشة أبرع قواد البربر، ويتولى يوسف بن تاشفين قايدة الجيش الاحتياطي المؤلف من نخبة أجناده المرابطين من لمثونة وصنهاجة وغيرها من القبائل البربرية، ولبث الجيشان الخصيمان كل منهما اتجاه الآخر لا يفصلهما سوى النهر مدة أيام ثلاثة والرسل تتجاوب بينها، وكتب يوسف قبيل المعركة إلى ملك قشتالة، عملا بأحكام السنة كتابا يعرض عليه نية الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب.[2]

اتجه هجوم يوسف بن تاشفين إلى معسكر ألفونسو الذي وجد نفسه محاصراً بين جيوش المسلمين، واستمر القتال يوما كاملا، يسوده الظلام لكثرة الغبار، حتى اكتشف جيش ألفونسو وفر وهو مهزوم.

[1] - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 313.
[2] - نفسه ، نفس الصفحة.

وبهذه الهزيمة التي أتت على خيرة جنود ألفونسو وضباطه، أضطر النصارى إلى الجلاء عن بلنسية وإلى فك الحصار قبلها على سرقسطة وإلى تحرير ملوك الطوائف من الضريبة السنوية وإلى إعادة الاعتبار إلى المسلمين.[1]

فأما يوسف بن تشفين، فقد قرر العودة إلى العدوة بسبب وفاة أكبر أبنائه تاركا وراءه لدى المعتمد قوة تعداده رجالها ثلاثة ألاف مقاتل من المرابطين ولكنه قبل سفره عقد اجتماعا مع ملوك الطوائف حثهم خلاله على الاتفاق والائتلاف.

ويقول عبد الله الصنهاجي الذي شهد هذا الاجتماع في مذكراته ما يلي: « جمعنا في مجلسه أغنى رؤساء الأندلس وأمرنا بالاتفاق والائتلاف وأن تكون الكلمة واحدة، وأن النصارى لم تفترسنا إلا الذي كان من تشتتنا واستعانة البعض بهم على البعض، فأجابه الكل أن وصيته مقبولة وأن ظهوره مما يجمع الكل على الطاعة والجري إلى الحقيقة.[2]

لقد قضت الزلاقة على التمزق بين ملوك الطوائف ورفعت الروح المعنوية للمجاهدين في سبيل الله وأعادت الثقة إلى المسلمين جميعاً.[3]

*** نهاية عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة:**

بعد عودة ابن تاشفين إلى بلاده عقب فشله أمام حصن لييط عام 481هـ/1088 م، امتد تهديد ألفونسو السادس (الفونش) إلى جنوبي الأندلس وتحتم على الأمير عبد الله بن

[1] - اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 175، 176
[2] - عبد الله بن بلقين : المصدر السابق، ص 106.
[3] - أكثر تفاصيل عن معركة زلاقة الرجوع إلى كتاب الزلاقة للدكتور أبو خليل ، ص43 وما بعدها .

بلقين دفعه الجزية إلى الملك عن طريق نائبه البرهانش[1]، وذلك من ماله الخاص والمقدر بثلاثين ألف من قطع الذهب، وجدد حينها الأمير عبد الله بن بلقين مع ألفونسو معاهدة التحالف، لكن اتفاقاته مع الملك النصراني أدت إلى ضياع عرشه.[2]

فقد جاء الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين لمحاصرته في غرناطة عام 483 هـ/1090 م فاضطر إلى أن يسلم نفسه إليه، فعزل عن ملكه وأرسل إلى المنفى بمدينة أغمات[3] في جنوب المغرب الأقصى حيث انتهت حياته.[4]

وقد وصف ابن الخطيب هذا المشهد بالقول: « ولما اجتاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من بعد الوقيعة بملك النصارى يوم الزلاقة [5] شرع في خلع رؤساء الأندلس، فبدأ بعبد الله بن بلقين، وقد حركه إليه إغراء طائفة من خدامه لحقت به، واتصلت به عند الاستعداد واتخاذ البلاد وتجديد الأسوار ومراسلة صاحب قشتالة وتجني عليه تجني الذئب على المعزة، وحسبما يتمثل به الناس إذ قال لها متسببا لأكلها: « شمرت ذنبك فإنك تحركي علي به» فقالت:«وأي ذنب لي بفعل ذلك ؟» فقال لها: « أو تكذبينني يا فعالة ؟ » ووثب عليها فأكلها، فوجه الجيش إلى منازلته وقصده بنفسه، وتبادر إليه الرعايا معلنين بطاعته.

ولما رأى اختلال حاله، ونكول أهل بلده عن الدفاع عنه، خرج عبد الله إلى الأمير يوسف بن تاشفين، فتلقاه هو وأمه على فرسخين من المدينة.[6] فترجل عبد الله وسأله العفو

---

[1] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 122

[2] - نفسه، نفسه، ص 08

[3] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، 235.

[4] - عبد الله بن بلقين،نفسه، ص 08، رحب محمد عبد الرحيم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، ص 365.

[5] - ابن الخطيب، أعما ل الأعلام، ص ص 235، 236.

[6] - الفر سخ:مسافة تقدر بثلاثة أميال، واليمل عند البعض ثلاث آلاف ذاع، وعند البعض الآخ أربعة آلاف.

فعفا عنه وأمره بالركوب فركب وألفت به الخيل حتى نزل بالمشيحة[1]وأمره بشقاق القصر وخاطب أهل البلد بما أرضاهم من ضمان العدل والرفق وإفاضة الخير.

وكان خلع عبد الله بن بلقين يوم الأحد عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة 483هـ.

أما كتابة عبد الله لمذكراته، فقد كانت أثناء إقامته في أغمات[2]، في جنوب المغرب الأقصى – وإن هذه الترجمة الشخصية تكون أعظم مجموعة وثائق تملكها عن تاريخ ملوك الطوائف.[3]

[1] - عبد الله بن بلقين:التبيان، ص 209.

[2] -أغمات:قرية مغربية أمازيغية تاريخية،تقع جنوب وسط المغرب غرب مراكش،بها ضريح المعتمد بن عباد قضى بها بقية أيام عمره هو وزوجته – أغمات قاعدة عسكرية للمرابطين:عبد الله بن بلقين،المصدر السابق ص209

[3] - نفسه، نفسه، ص 08.

الفصل الثاني

مكونات المجتمع الغرناطي

الفصل الثاني: مكونات المجتمع الغرناطي:

أ- عناصر المجتمع:

كان المجتمع الغرناطي في عصر ملوك الطوائف يتكون من عناصر مختلفة، شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به، فقد كان فيه أهل البد الأصليون الذين أطلق عليهم (عجم الأندلس) وكانوا في أكثريتهم من الأسبان الذين دخلوا إلى الإسلام فسموا المسالمة، ومن الذين بقوا على ديانتهم من الأسبان والرومان والقوط واليهود وغيرهم،، هؤلاء سمو بأهل الذمة، أو (النصارى المعاهدين).

وأما الوافدون فكان منهم العرب الآتون من المشرق، كما كان منهم البربر الذين قدموا من شمال إفريقية، ولم يلبث هؤلاء الفاتحون الجدد أن اختلطوا بأهل البلاد ، وكان من ثمار هذا الاختلاط تشكل عنصر جديد هم المولدون.

1- العرب:

هم أهم العناصر التي تألف منها المجتمع الأندلسي بعد الفتح وقد دخل العرب إلى الأندلس فرادى وجماعات متتالية وعرفت باسم الطوالع يضاف إليهم من هاجر إليها من عرب الشام والعراق ومصر، هذا وقد عرفت الأندلس أربع طوالع عربية استقرت في كل ناحية على طول الطريق الذي سار فيه موسى من الجزيرة الخضراء إلى أقصى الشمال

والشمال الغربي، كما استقر عدد كبير منهم في ناحية سرقسطة كما تناثرت جماعات كبيرة في قرطبة وما حولها، كذلك استقرت جماعات متفرقة منهم في نواحي الجنوب. [1]

قرر موسى العبور إلى الأندلس سنة 93 هـ/712 م مصطحبا معه جيشا –اختلف في عدد هذا الجيش والأرجح أنه يتألف من اثني عشر ألفا.[2] وحملة موسى بن نصير جاءت بهدف إيجاد توازن بشري – عددي– بين العرب والبربر، وهذا ما أكده البلاذري حول تأنيب موسى لطارق بن زياد حيث يقول: « وكتب إلى طارق– أي موسى– كتابا غليظا لتعزيزه بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوه.[3]

وهذا ما ذهب إليه ابن عبد الحكم، الذي يقول: « وخرج موسى بن نصير إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر حتى دخل الأندلس وخرج مغيظا على طارق.[4]

وما نستنتجه من نص البلاذري وابن عبد الحكم وجود خلافات بين عنصري الفتح منذ خطواته الأولى وسبب ذلك رغبة العربي احتكار شرف الفتح ونتائجه دون غيره.[5]

[1] - حسن مؤنس: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)،دار المناصل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص 400.

[2] - مجهول المؤلف، أجبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله، والحروب الواقعة بينهم، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1981، ص 24.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، تعليق محمد رضوان، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت، 1978، ص 232، ابن القرطبية: تاريخ افتتاح الأندلس، تقديم، عبد الله أنيس الطباع. د.ط، بيروت، 1957، ص 198.

[4] - ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبناني، د.ط بيروت، 1964، ص 76

[5] - عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي 300-422هـ/912-1031 م، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، وهران، 2002،2001، ص 20.

ثم طالعة الحر بن عبد الرحمان الثقفي في ذي الحجة 97 هـ حيث قدم واليا على ألأندلس ومعه أربعمائة رجل من افريقية فمنهم أولى طوالع الأندلس المعدودين.[1]

وكان أغلب هاتين الطالعين من اليمنيين، وسمو بالبلدين أو أهل البلد لأنهم استقروا في بلاد الأندلس واعتبروا أنفسهم من أهلها وأصحابها.[2]

ثم تعاقبت أفواج العرب بعد ذلك، ومن أشهرها طالعة بلج[3] ،وأصبح هؤلاء يلقبون بالشاميين تمييزاً لهم عن الطلائع الأولى التي كانت في الفتح وبعده مباشرة، واستقرت وسميت بالبلدين وكانت هذه الطالعة تبلغ نحو عشرة آلاف منهما ثمانية آلاف من العرب وألفان من الموالي.[4]

كما قدمت موجة جديدة من القبائل العربية من الأمويين وأنصارهم خلال فترة تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس بقيادة عبد الرحمن الداخل[5] وهكذا أخذت الأندلس تموج بمن وفد عليها من العرب، واستقر هؤلاء في المناطق الخصبة التي تفيض بالخيرات، وكونوا مراكز قوية للعروبة وهي نواة الأرسطقراطية العربية، التي ظلت غالبة على الأندلس حتى نهاية دولة الإسلام، وكانوا ينزلون في عمائر وقبائل وبطون وأفخاذ، حتى قطع المنصور بن أبي عامر ذلك بقصد تشتيتهم.[6]

[1] - السعيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي الى سقوط الخلافة بقرطبة)، مكتبة الأنجلو- مصرية، 1986، ط2، ص 120.، حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 400 .

[2] - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 19، وما يليها، أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص ص 44-46.

[3] - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 120.

[4] - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 15.

[5] - حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422 هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، الجامع الأزهر، 1994، ط1، ص 15.

[6] - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 12.

على إثر هذا التشتت توزع العنصر العربي على المدن والمناطق مثل باجة وغرناطة وجيان.[1]

كانت العرب من أبرز العناصر التي تكون منها مجتمع غرناطة، وكانت لغتهم العربية الفصحى، وهي اللغة الرسمية في غرناطة، وقد سيطرت هذه اللغة على مجتمع غرناطة وانتشر ت بين عناصره.

ومن المؤكد أن العنصر العربي احتل مكانة عالية في غرناطة ومركز الصدارة في الحياة الثقافية لأن هذا العنصر أكثر الطبقات تهيؤاً لتبني اللغة العربية وتعلمها واستيعاب تاريخ آدابها، وظلت هذه اللغة لغة المملكة ولغة الأدب معاً، وهي مجال للتفاهم بين عناصر مجتمع غرناطة، ومجال للانتشار في كثير من خرجات الموشحات.[2]

ومن الطبيعي أن عرب غرناطة أثروا في حياة النصارى الأسبان تأثيرا كبيرا، لأن اختلاط العرب بالنصارى من شأنه أن يدفع هؤلاء النصارى إلى تقليد الآخرين، وقد مارس النصارى عادات العرب وتقاليدهم كختن صغارهم والامتناع عن أكل لحم الخنزير وتعلموا لغتهم وأتقنوها وما احتواء اللغة الإسبانية اليوم على ما يزيد على أربعة آلاف كلمة عربية، وعلى كثير من تركيبات وتعابير لغوية عربية إضافة إلى انفرادها بين لغات أوروبا اللاتينية بامتلاكها أداة التعريف العربية وحرفي الخاء (J, ge, ge) والتاء (t,ce,ci) إلا دليل على مدى هذا التأثير.[3]

[1] - يوسف فرحات: موسوعة الحضارة العربية، العصر الأندلسي، دار كلمات النشر (شركة بروفيشيال بريشينغ، برود اكشن)، 1995، ح6، ص 956.
[2] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص ص 244، 245.
[3] - مريم قاسم الطويل:المرجع السابق، ص 245

وهكذا عرفت الثقافة العربية في الأندلس كيف تستقي من حضارة المشرق وكيف تفرض نفسها فيما بعد خارج الحدود الإسلامية.[1]

2- البربر:

مما لا شك فيه أن الأحداث السياسية في الأندلس اقترنت بنشاط بربر إلى حد بعيد منذ أن دخلت تلك البلاد في حوزة المسلمين في أواخر القرن الأول الهجري الموافق للثامن الميلادي على يد القائد العربي موسى بن النصير – والي إفريقيا – ، والقائد البربري طارق بن زياد، وكان من الطبيعي أن تفتح أبواب الأندلس للبربر أكثر من غيرهم، بحكم قرب موطنهم منها واتصالهم السابق بها.[2]

ومن الواضح أن أعدادا من البربر الذين شاركوا في فتح الأندلس كانت تزيد على أعداد العرب أضعافاً.[3]

كان يحكم إسبانيا منذ القرن الخامس الميلادي القوط الغربيون وعاصمتهم طليطلة[4] وكان ملكهم لذريق[5] مغتصبا للعرش من الملك الشرعي وقلة (Achila) ابن فيطشة (Witiza)[6] وقد أرسل موسى بن نصير أولا حملة طلائع مؤلفة من مائة حارس وأربعمائة رجل بقيادة طريف بن مالك (91 هـ/710م)[7] ثم كلف موسى بن نصير حاكم طنجة طارق

---

[1] - مريم قاسم الطويل ،المرجع السابق ، ص 246.

[2] - فراد محمد أرزفي: القوى المغربية في الأندلس، المرجع السابق، ص 08

[3] - حسن مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 419.

[4] -طليطلة: مدينة عظيمة قد أحدق بها النهر المسمى تاجه، يقال إن هذه المدينة من بنيان الخزر ،ويقال أنها من بنيان القوطيين وكانت دار ملكهم وملك الروم من بعدهم ، وأصح الروايات أنها من بنيان الخزر الذين كانوا في عهد إبراهيم عيه السلام...هي كثيرة الزرع والضرع: الزهري ، المصدر السابق ص83. المقري: نفع الطيب، المصدر السابق، ج1، ص ص 138، 139.

[5] - لذريق: أخر ملوك القوط، وهو الذي دخلت عليه العر ب فأزالت دولة القوط، المقري، نفسه، ص 139.

[6] - فراد محمد أرزقي: نفسه، ص 08، المقري: المصدر السابق، ص 248

[7] - المقري: نفسه، ص 229.

بن زياد بقيادة جيش الفتح الذي قيل بأنه كان مؤلفا من سبعة آلاف كلهم من البربر فيما عدا ثلاثمائة من العرب[1] إلا أن المؤكد حسب ما ذهب إليه ابن بشكوال، أن طارق بن زياد قد احتل بالجبل المنسوب إليه يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة 92 هـ من اثني عشر ألف من البربر، ولم يكن فيهم من العرب إلا قليل.[2]

ولم يلبث طارق بن زياد أن انتصر على لذريق قرب بحيرة جندة (Janda) في المنطقة التي يسميها العرب وادي لكة تعريف للكلمة الإسبانية (Lago) ومعناها البحيرة، ثم دخل طارق العاصمة طليطلة عام 93 هـ/712م، وفي العام نفسه وصل موسى على رأس جيش ، وتمكن من قتل لذريق في معركة وقعت بالقرب من بحيرة تمامس عام 94 هـ/713 م، وتم على يديه وطارق استكمال فتح شبه الجزيرة.[3]

وما كادت أنباء النصر الذي أحرزه طارق على القوط تصل إلى المغرب حتى هرع إلى الأندلس عدد هائل منهم بغية التماس الغنائم أو الاستقرار في هذه البلاد الغنية، وظلت بلاد المغرب مصدراً للهجرات البربرية إلى الأندلس حتى قيام دولة بني أمية.[4]

وقد أكد المقري في نفح الطيب قائلا: « وتسامع الناس من أهل بربر العدوة بالفتح على طارق، وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق.[5]

---

[1] - المقري،المصدر السابق، ص 231
[2] - نفسه، نفسه، نفس الصفحة
[3] - الرجوع إلى: ابن عذاري: البيان: ج2، ص ص 8، 19، المقري: المصدر السابق، ص 242
[4] - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 122.
[5] - المقري، نفح الطيب، ج2، ص 163.

كما أمدنا ابن حزم في الجمهرة بمعلومات تتعلق بمنازل البربر في الأندلس على أيامه[1] قد تطرقنا إلى هذه البيوتات في الفصل الأول.

وينبغي أن نلاحظ أن التحديد فيما يتصل بالبربر أعسر منه فيما يتصل بالعرب، لأن الهجرات العربية الكبيرة انتهت بنهاية عصر الولاة، فلم يفد منهم على الأندلس بعد ذلك إلا أفراد أو بيوت أو جماعات قليلة، أما البربر فقد كان تيار هجرتهم متصلاً، بحكم الجوار أولاً، وبحكم الجاذبية الخاصة التي كانت لشبه الجزيرة الأندلسية على بربر الشمال الإفريقي ثانيا، ولأسباب سياسية ثالثا.[2]

وقد ذهب ابن خلدون إلى أن جموع البربر التي دخلت الأندلس مع الفتح وبعده بقليل كانت من قبائل مطغرة ومديونة ومكناسة وهوارة، وكلها متفرعة من زناتة.[3]

واستقر جماعات بربرية في أخصب نواحي الأندلسي وليس في النواحي القاحلة في الشمال والشمال الغربي- كما يفسر بعض المؤرخين- بأن العرب اختصوا لأنفسهم بخير بقاع الأندلس ولم يتركوا للبربر إلا النواحي الجبلية،بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم لكثرة من كان فيها من عشائرهم.[4]

وعلى العموم فإن هجرة البربر إلى الأندلس قد ظلت مستمرة عبر مراحلها ، وكان ذلك عاملا بارزاً في تدعيم وجود المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية وفي صمود غرناطة إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

---

[1] - ابن حزم : الجمهرة، المصدر السابق، ص 498.
[2] - حسن مؤنس : المرجع السابق، ص 420.
[3] - ابن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق، ج6، ص 106، وما يليها.
[4] - فراد محمد أرزقي، المرجع السابق، ص 08

مع وصول الحكم المستنصر إلى الحكم سنة 350هـ/961م[1] ازدادت قبضة البربر إحكاما خاصة على المناصب الإدارية والجيش، وكان لإشراف عثمان بن نصر− وهو من بربر بلنسية Valence− على تربية الحكم المستنصر أثر كبير في ذلك ولا شك، فما إن تقلد الحكم الخلاقة حتى اتخذ جعفر بن عثمان المصحفي[2] وهو ابن مربيه عثمان بن نصر، كاتبا له ووزيراً. ثم عينه في منصب الحجابة، أعلى منصب يصبوا إليه كل سياسي وله صلاحيات واسعة، هذا فيما يتعلق بالجانب الإداري.

أما في الميدان العسكري فقد تضافرت عدة عوامل جعلت الحكم المستنصر يستقبل القوات البربرية التي دعم بها جيوشه باستمرار، ومن بين هذه العوامل وصول بعض القبائل البربرية قصد الجهاد ضد الأسبان المسيحيين.[3]

وازداد تدفق البربر إلى الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر الذي كان سواد جيشه الأعظم من البربر[4].

استقر البربر في مواطن وثغور متفرقة كالثغر الأعلى وقرطبة وإشبيلية ومورور وفي شرق الأندلس.

[1] - هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، كنيته أبو المطرف، أمه:اسمها مهرجان، عمره 63 سنة وسبعة أشهر، بويع بعد وفاة أبيه سنة 350 هـ وتوفي سنة 366هـ، ودامت دولته 15 سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام، لقبه المستنصر بالله ،أنظر، ابن عذاري: البيان، ج2، ص 233، أنظر، الدخيرة، لأبن بسام، القسم الرابع، المجلد 1، ص 39)

[2] - عن أخبار جعفر بن عثمان الصحفي ،أنظر، ابن عذاري، نفسه، ص 254

[3] - فراد محمد أرزقي، المرجع السابق، ص ص 10، 11.

[4] - عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 37.

وما يمكن أن نستنتجه من هذا التوزيع الجغرافي أن هناك مناطق ذات كثافة بربرية كما هو الحال في الجنوب، ومناطق ذات كثافة قليلة، قد يرجع ذلك لقرب الجنوب من العدوة من جهة وصعوبة مزاحمة العرب في باقي المناطق من جهة أخرى.

ومهما يكن من أمر فإن البربر قد شكلوا كيانات سياسية، وانتشروا في كافة المدن الأندلسية وبرزوا في جميع حقوق العمل والمعرفة، وكان جلهم صناعاً، وعمالاً فلاحين، واتخذوا المناطق الجبلية الوعرة سكنا لهم[1]، لأن العرب كانوا قد اختاروا لأنفسهم الأراضي السهلة الخصبة، فاندمجوا فيها وأخذوا يصلحونها ويغرسون فيها كل أنواع الشجر ويربون في أدغالها المواشي حتى أصبحوا مهرة في الزراعة والفلاحة وتربية الحيوانات الداجنة، وانصهروا في المجتمع الأندلسي عن طريق الزواج، وأتقنوا اللغة العربية إتقانا كاملاً.[2]

3 – المولدون: Los Moladus

يرى السيد عبد العزيز سالم، أن مفهوم المولدون، أنهم جيل جاء على إثر المصاهرة بين المسلمين وأهل البلاد، فبامتزاج دماء الفاتحين من العرب والبربر بدماء أهل البلاد، فنشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا بالمولدين، وكان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بإسبانية، إذ تزوج من إيخيلونا Egilona أرملة لذريق، فحذا حذوه كثير من رجال العرب أمثال زياد بن النابغة التميمي، الذي تزوج هو الآخر من إحدى أميرات اسبانيا

[1] - خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي السنة الجامعية 2006/2007، ص 46.
[2] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 244.

وعيسى بن مزاحم الذي تزوج من سارة القوطية Sarra la Ghoothe بنت المندر بن غيطشة.[1]

ومن جملة الباحثين ترى مريم قاسم الطويل، أن المسالمة أي نصارى الأسبان أسلموا وتدينوا بالإسلام وترفض أن يكون المولدون من نتاج زواج المسلمين بالإسبانيات،وهناك من يخالف هذا الرأي.[2]

إلا أن إبراهيم القادري بوتشيش جمع بين الرأيين فيقول أنهم منحدرون من أصل أسباني اعتنقوا الإسلام أو ولدوا من أب مسلم ونشأوا على الديانة الإسلامية[3] والاتجاه نفسه اتجهه الباحث صلاح خالص.[4]

لقد أصبح الزواج من الأسبانيات بعد المرحلة الأولى من الفتح تقليدا شائعا عند أهل الأندلس، أمراءهم وخلفاءهم خاصتهم وعامتهم والمثال على ذلك زواج أمراء بني أمية من نساء البشكنس، والجلالقة.[5]ولعل الدافع إلى ذلك يرجع كما تذكر بعض المصادر إلى شديد الهوى بالنساء الإسبانيات والإعجاب بهن، فالأمير عبد الرحمان مثلا قيل أنه عشق جارية له اسمها "طروب"فولع بها وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار ومن قوله فيها:

إذا ما بدت لي شمس النهار طـــالعة ذكرتني طروبا

أنا ابن الهاشمي من غاب أشب حروبا وأطفي حروبا

[1] - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 128.
[2] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 246.
[3] - إبراهيم القادري بوتشيشي : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، د.ط، بيروت 1998، ص 43.
[4] - صلاح خالص: أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د، ط، بيروت، 1965، ص 31.
[5] - سحر السيد عبد العزيز سالم: الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس(دراسة سياسية،أدبية، اجتماعية):الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ط1،تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط1995م،ص34

ويعتبر الأمير عبد الرحمان من أكثر الأمراء الأمويين الذين ملكوا الجواري فكان له العديد منهن مثل الشفاء وقلم...إلخ[1]

وفي السياق نفسه يذكر المستشرق الفرنسي"ليفي بروفنسال"أن العلاقة بين المسلمين في الأندلس والمسيحيين في الغرب تضخمت وتعددت في هذه الفترة خاصة في مجال المصاهرات التي اصبحت طبيعية بالنسبة لهؤلاء المسلمين الذين أكثروا التزوج من المسيحيات .[2]

لقد كان للبربر حظ من هذه المصاهرات كما تبينه بعض المصادر وتؤكده.[3] احتفظ كثير من المولدين بأسمائهم القديمة أمثال بنو أنجلين،Angelino، وبنو شبرقة Sabarico وبنو الجريج، Jorge، وبنولتق Longo، وبنو القبطرنة Kabturno، وبنو مردنيشMartinez، ووبنو غرسية Garcia، وبنو ردولف.Rodolfo.[4]

ولقد تألفت منهم جماعات كبيرة عاشت في المدن الهامة مثل طليطلة وإشبيلية، حيث كانوا يمثلون أكبر طائفة من سكانها، وكانوا يعملون بالإدارة والتجارة وظهر منهم، الكثير من الأغنياء.[5]

وقد انتهز هؤلاء المولدون فرصة ضعف دولة بني أمية في عهد الأمير عبد الله فثاروا على عدة نواحي من الأندلس ضد السلطة المركزية وكان من أخطر ثوراتهم ثورة

---

[1] - مجهول:تاريخ الأندلس، ص174

[2] Levi provencal L'Espagne musulmane…p35

[3] - شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا إيطاليا وجزر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت(ب ت ن)ص115، حسن مؤنس:المرجع السابق ص252، ليفي بروفنسال،حضارة العرب في الأندلس(ب ط)ترجمة دوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة(ب س ن)ص181.

[4] - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص ص128-129.

[5] - نفسه، نفسه، ص ص 129، 130.

عمر بن حفصون الذي تغلب على ببشتر وثورة عبد الرحمان بن مروان الذي عرف بابن الجليقي – نسبة إلى جليقة– « وكانت دعوته عصبية للمولدين على العرب» كما ثار يحي بن بكر بن ردلف في شنت مرية بأشكونية.[1]

وقد كان من شأن كثرة أبناء هذا الجيل المولد انتشار اللغة العجمية أو اللطينية، – كما يسميها المؤرخون العرب– بين الأندلسيين من عرب وبربر، وهي ما يطلق عليه اسم اللغة الرومانية (الأسبانية الحديثة أو العامة) واختلاطها باللغة العربية.[2]وعن طريقهم تداخلت العربية والرومانية تداخلا كان من مظاهره نشأة فن الموشحات والأزجال.[3]

4– المستعربون: Los Mozarabes

هم الأسبان المسيحيون الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية.[4] في الأندلس فالذين أبوا دخول الإسلام أطلق عليهم المؤرخون عبارة عجم الأندلس تمييزاً لهم عن عجم الفرس، كما سموهم الروم، وعرفوا كذلك باسم المعاهدين أي الذين شملتهم المعاهدة التي عقدت بين الفاتحين والأسبان، أما مؤرخو العرب فيطلقون عليهم اسم المستعربين – بفتح الراء– لأنهم استعربوا لغة وزيا، أي أنهم ارتدوا بإرادلاتهم الزي العربي واتخذوا بإرادتهم العربية لغة فأقبلوا على قراءة شعر العرب وأدبهم.[5]

---

[1] - المقري: نفح الطيب، ج2، ص 417، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 415.
[2] - لطفي عبد البديع: الإسلام في اسبانيا، ص 25.
[3] - عن الموشحات والأزجال، ارجع: د.أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، ص145 وبعدها، د. عبد العزيز الأهوائي، الزجل في الأندلس القاهرة سنة 1957 م، د. محمد عناني: الموشحات الأندلسية عالم المعرفة عدد21، صمويل سشيرن: المرشح الأندلسي ترجمة د. عبد الحميد شيحة، دار الآداب بالقاهرة سنة 1990.
[4] - ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ط2، ص 106.
[5] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص ص 246، 247.

لم يظهر هذا المصطلح في النصوص أو الكتابات الرسمية إلا في زمن متأخر، كما يخبرنا الدكتور حسن مؤنس، إلا في القرن الحادي عشر الميلادي، سواء في كتب المؤرخين والجغرافيين والفقهاء وأهل الأدب أو في كتابات نصارى الأندلس.[1]

مثل النصارى نسبة كبيرة من سكان الأندلس قبل فتحها من طرف المسلمين حيث شمل تواجدهم أغلب مدن الأندلس، كانوا يشكلون جماعات في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة. وبمرور الزمن وفي ظل احتكاكهم بالعناصر الواردة تمتع هؤلاء باستقلال محلي يطبقون شعائرهم بكل حرية وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوي حيث احتل البعض منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش وفي سائر مدن الأندلس ولا سيما في غرناطة في عهد بني زيري.

عاش هؤلاء النصارى في غرناطة بسلام ، يطبقون شعائرهم القوطية القديمة، ولهم قضاؤهم الخاص، ولهم كنائسهم يزاولون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية[2] مقابل دفع الجزية للمسلمين، تماشيا مع الشريعة الإسلامية، كونهم من أهل الكتاب، وهكذا احترمهم حكام غرناطة وعاملوهم معاملة حسنة، فأبقوا لهم أماكن العبادة.

وقد تمتعوا في عهد بن زيري في غرناطة بالحماية والرعاية فازدهرت أحوالهم، خاصة بعد قتل الوزير الأول يوسف بن نغرالة اليهودي، حيث جنح أمير غرناطة عبد الله بن بلقين

---

[1] - حسن مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 416.

[2] - ابن الخطيب:الإحاطة ،ص،106 . السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 130.

آخر ملوك غرناطة إلى اصطناعهم، ووصل به الأمر أن اتخذ في بطانته عدة من أكابر النصارى القشتاليين يعاونونه في شؤون الحرب والإدارة.[1]

وهكذا عاش النصارى جنباً إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة لهم، وكان لهم رئيس في كل مدينة يعرف بالقومس[2]، كما كان لهم قاضي نصراني يفصل في منازاعاتهم يعرف بقاضي العجم، وإذا كان المتخاصمون مسلمين ومسيحيين فإن القاضي يفصل بينهم كان قاضيا مسلما يعرف بقاضي الجند، ثم سمي فيما بعد بقاضي الجماعة.[3]

وبحكم العلاقة الطيبة التي كانت بين المسلمين والنصارى، شاعت المصاهرة بين الفريقين، فزواج المسلمين بالمسيحيات فاق بكثير زواج الأسبان بالمسلمات.

كذلك شارك مسلمو غرناطة المستعربين في أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح، وعيد رأس السنة الميلادي، وعيد العنصرة وهو عيد (سان خوان) الواقع في الرابع والعشرين من شهر حزيران،وخميس نيسان أو خميس العهد الذي يسبق عيد الفصح المسيحي بثلاثة أيام وكانوا في هذه الأعياد يبتاعون الفواكه والحلوى كما كان يفعل النصارى تماماً.[4]

ومشاركة المسلمين للمسيحيين في هذه الأعياد يعود إلى نظرة الاحترام الذي يكنه المسلمون لهم.[5] إلى جانب هذا، هناك التأثير الثقافي، حيث انتشرت الرومنسية وهي لغة النصارى بين

---

[1] - مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص 248.

[2] -القومسcomes: كلمة لطينية ، والقومس في الأصل مرافق الملك ونديمه ، ثم صارت هذه الكلمة في أيام القوط والأفرنج خاصة بولاة الكور(النواحي)، ومنها اشتق اللفظ الأسباني conde، واللفظ الفرنسيcomte، وجمعها قوامسة ،انظر، أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(384هـ-456هـ)،جمهرة أنساب العرب ج2،تحقيق عبد السلام هارون،ط5،دار المعارف ،القاهرة 1982م،ص467، هامش2.

[3] - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص131،130.

[4] - مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص 244

[5] - أكثر تفاصيل:انظر، أحمد مختار العبادي ، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد مج15،وزارة التعليم العالي، مدريد 1970 ص140

مسلمي غرناطة، وهي لغة عرفت عند المؤلفين الأندلسيين باسم العجمية أو اللطينية[1] أثرت بشكل كبير على المجتمع الغرناطي بصفة خاصة، والأندلسي بصفة عامة.[2]

وبمرور الزمن أصبح هذا العنصر في التناقص تدريجيا وقد يرجع ذلك إلى ارتفاع عدد المسالمة، ومهما يكن فإن المستعرب يعد من أهم العناصر الأساسية في المجتمع الأندلسي عامة، والمجتمع الغرناطي خاصة، ولهذا يخصص العلماء الأسبان لتاريخ «النصارى المعاهدين» مصنفات وبحوث كثيرة، وقد وضع المستشرق الكبير سيمونيت Simonet في تاريخ النصارى المعاهدين مؤلفا ضخما عنوانه Histoire de les mozarabes de espana (madrid 1897)

ومن أحدث المؤلفات في هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق Isiho de las cagigas عنوانه: les mozarabes, madrid 1947.[3]

5- اليهود:

يعد اليهود الطائفة الثانية من أهل الذمة حيث شكلوا قسما هاماً من سكان المجتمع الأسباني قبل الفتح الإسلامي، ويعود تاريخ دخولهم بلاد الأندلس بمئات السنين، وأغلب الظن أنهم قدموا الأندلس في عهد الرومان سنة 70 م[4] بعد هدم أورشليم، وتكاثروا مع مرور الزمن، وقد بلغ عددهم خلال الفتح العربي على ما يزيد مائة ألف[5]، ويبدو من خلال أخبارهم

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع نفسه، ص 244
[2] -أحمد مختار العبادي: صورة من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مج26،منشورات المعهد المصري، مدريد 1993 ص12.
[3] - ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص ص 106، 107.
[4] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 250
[5] - حسن أحمد النوش: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، درا الجيل، ط1، بيروت، 1992، ص 45.

في مختلف مصادر التاريخ الأندلسي أنهم كانوا مضطهدين من القوط والرومان، هذا الاضطهاد الذي قاسوه قبل دخول الإسلام إلى أسبانيا كان دافعا قوياً لهم لمساعدة المسلمين على فتح البلاد وتثبيت أقدامهم.[1]

ولما استقر المسلمين في الأندلس تخلص اليهود من ظلم واضطهاد الحكام الذين سبقوهم فقد منحهم المسلمون حريات لم يكونوا يحلمون بها، منها حرية العمل والتنقل والتملك بالإضافة إلى الحرية الدينية وكان لذلك أثره في هجرة الكثير من يهود أوروبا إلى الأندلس بعد فتح المسلمين لها.[2]

وقد برز اليهود في الأندلس في وقت مبكر من عصر الخلافة الأموية[3] وتعتبر مدينة غرناطة من ضمن المدن التي كثرت بها التقاليد اليهودية، حتى لقبت بمدينة اليهود[4] وقد تولى اليهود أيام ملوك غرناطة بني زيري الصنهاجيون، مناصب عليا، حيث وصل واحد منهم إلى مرتبة الوزارة، وهو ابن النغرالة اليهودي وابنه يوسف من بعده، وهذا السلطان الواسع الذي أحرزه هذا الأخير مكن لليهود كثيراً في الشؤون المالية والإدارية.[5]

وقد شاركوا – أي اليهود – في عهد بني زيري في تقدم غرناطة من النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية والحضارية، وذلك من خلال المناصب العليا التي احتلوها سواء في القصر الملكي أو في الإدارة العامة، نذكر على سبيل المثال أن موسى بن يعقوب

[1] - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 133.
[2] - حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 48.
[3] - ريموند شابنولين: اليهود في الأندلس – الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999، ج1، ص 303.
[4] - الحميري: المصدر السابق، ص 23.
[5] - ابن حزم : الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى ، تحقيق ،د ، إحسان عباس ، الناشر مكتبة دار العروبة ،القاهرة ،1380ه/1960 م، ص 11.أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،قسم الثاني ،مج2 ، تحقيق ،إحسان عباس ، ط1 ،دار الثقافة بيروت ،1399ه/1979م ،ص562.

بن عزرا قد تولى منصب صاحب الشرطة في عهد الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك غرناطة.

ولما كان اليهود أغنياء وميسورين وكانت في أيديهم معظم الثروة، فقد أخذوا يتدخلون في شؤون دولة بني زيري حتى طغوا على مقدرات غرناطة كلها.[1]

هذه هي أهم التركيبات العرقية التي ميزت تشكيلة المجتمع الغرناطي في عهد بني زيري الصنهاجيين، وقد أعطت باختلاف أصولها أو دياناتها للمجتمع صفات خاصة قلما نجدها في مجتمع آخر مما يحتم على السلطة أن تبذل جهوداً لضبط الأمور وتحقيق الانسجام والتوفيق الذي يقتضيه الوضع خاصة وأنه يشكل خليطا عجيب من الأجناس والعصبيات.

ب-الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الغرناطي:

من خلال المصادر التي توصلت إليها لاحظت أن هناك آراء مختلفة في تقسيم المجتمعات فالأندلس ، فقد ذهب ابن الخطيب إلى تقسيم المجتمع إلى ستة أقسام:الطبقة الحاكمة وما يلحق بهم، والطبقة الوسطى الراضية بوضعها الاجتماعي ، والطبقة الدنيا المهيأة للثورة، وهي أضعف الطبقات ، وطبقة الفقهاء والعلماء ورجال الدين، وطبقة تؤدي ما عليها من ديون وضرائب، وطبقة الزهاد والنساك.[2]

---

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 252.

[2] - ابن الخطيب:أعمال الأعلام،ص ص44-48

أما فقهاء الأندلس الذين عاشوا في هذه المرحلة كابن الحاج وأبي الوليد الباجي فقد قسموا المجتمع إلى ثلاث طبقات: طبقة الأغنياء، وطبقة متوسطي الحال، والطبقة الدنيا.[1] ويوافقهم في هذا التقسيم بعض الباحثين المعاصرين.[2] ويرى البعض الآخر أن المجتمع مقسم إلى طبقتين: طبقة الخاصة، المستفيدة من نظام الدولة، وطبقة العامة وهي مؤلفة من الرعية والمهنيين، وصغار التجار المتوسطين وعامة الفلاحين.[3]

أما نوازل العصر فقد رصدوا عدة فئات في المجتمع الأندلسي فهناك الطبقة الخاصة، وطبقة الفقهاء والقضاة، والعبيد والإماء والأسرى.

أما الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الغرناطي في عهد بني زيري الصنهاجي فقد قمت بتقسيمها إلى فئتين:

1- فئة خاصة:

أ – الحكام والأمراء:

انحصرت القيادة السياسية في غرناطة في عصر ملوك الطوائف في أسرة بني زيري البربري الصنهاجي، تمكنت هذه الأسرة من الوصول إلى السلطة بعد الفتنة البربرية التي أطاحت بالدولة العامرية والخلافة الأموية.

---

[1] - أبو عبد الله بن الحاج الشهيد: (ت 529هـ)، نوازل ابن الحاج، رصيد الخزانة العامة بالرباط رقم ج55 ورقة 90-91.

[2] - بوتشيش :مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ط1،بيروت دار الطليعة 1998م،ص131.أحمد شارف:السلطة والمجتمع بالأندلس في عصر المرابطين(مذكرة لنيل شهادة الماجستير)،إشراف إبراهيم بحاز بكير ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007/2008م

[3] - بيار غيشار:التاريخ الاجتماعي لأسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، من بداية ق8م إلى ق13م،تر مصطفى الرقي، الحضارة العربية في الأندلس ، تحرير سلمى خضران الجيوشي، ط2،ج2،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1999م ص ص 978-979-983-984.

ومن هنا أصبحت قبيلة صنهاجة تتمتع بمكانة مرموقة بين قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمي إلى هذه القبيلة.

احتلت هذه الأسرة قمة الهرم من حيث الثراء والقطاعات الكبيرة، حيث عملوا على تقوية نفوذهم من أجل المحافظة على الحكم والسلطة معاً، فقاموا باقتسام أرض غرناطة والسيطرة على معظمها، فلم يكن هناك حدود فاصلة بين خزائنهم الخاصة وبين المال العام.[1]

وكان معظم هذه الطبقة يميلون إلى الترف والاسترخاء والعبث، وتعددت حياة اللهو وتفننوا في المباني الفاخرة التي استنزفت أموالا كثيرة، على حساب السواد الأعظم من شعب غرناطة.[2]

وقد تميز هؤلاء الحكام بلباسهم الخاص وهو اللثام الذي أصبح يرمز إلى وضع اجتماعي مميز، فسعى الناس إلى برهم،ولهذا تشبه بهم العبيد والخدم وقاموا بالإساءة والتعدي هذا ما أدى بابن عبدون إلى التشديد على ألا يلبس العبيد والحشم لباس الملثمين لأنهم يهيبون على الناس ويأتون أبوابا من الفجور كثيرا بسبب ارتدائهم اللثام.[3]

ويشكل قادة الجيش جزء هاما من هذه الفئة الخاصة كونهم يشكلون العمود الفقري ويحققون للدولة الشيء الذي يطمحون إليه، لهذا احتلوا – أي قادة الجيش– مكانة سامية في المجتمع الغرناطي وسائر مدن الأندلس، إلا أن الأوضاع التي كان يعيشها ملوك الطوائف حالت دون تحقيق الاستقرار الذي كان قائما من قبل نظرا للحروب والنزاعات التي كانت

---

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 261.
[2] - نفسه، 262
[3] - ابن عبدون: رسالة ابن عبدون ، نشر ليفي بروفنسال .Le journal Asiatique.1994p26

قائمة بين رؤساء وملوك الطوائف فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين ألفونسو السادس من جهة أخرى.

ب –الفقهاء وأهل العلم:

احتل الفقهاء وأهل العلم مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي عامة وفي المجتمع الغرناطي خاصة في عصر ملوك الطوائف.

وفي هذا الشأن يقول المقري:"وللفقيه عندهم رونق ووجاهة ولا مذهب لهم إلا مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به محاضر ملوكهم ، ذوي الهمم في العموم، وسمعة الفقيه عندهم جليلة حتى أن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذين يريدون تنويهه بالفقه.[1]

كانت لهذه الفئة من الفقهاء والعلماء والقضاة، السلطة المطلقة والحكم النافذ الذي لا يرد، فقد سعى الفقيه ابن أبي زمنين، قاضي غرناطة في أن يعين لولايتها حبوس بن ماكسن ابن أخي زيري بعد رحيل زاوي عن الأندلس[2] فلم يعارضه أحد.

كما اشتهر بعض الفقهاء في عهد حبوس ابن ماكسن، كالفقيه الجليل أحمد بن محمد بن يزيد الهمداني اللخمي وكان فقيها جليلا وهو من أهل غرناطة والذي توفي في ألبيرة قبل عام 430هـ/1038م، ، وعبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وأخوه عبد الله توليا

[1] -المقري :نفح الطيب ج1،ص221
[2] - ابن الخطيب : الإحاطة، المد 1، ص 477

القيادة بثغور الأندلس إلى غاية استشهاده[1]، ويعد إسماعيل بن يوسف بن نغرالة اليهودي أكثر وزرائه وكتابه شهرة.[2]تختلف المصادر في رسم اسمه حسب ما جاء على لسان ابن حزم الأندلسي[3]: أشموال بن يوسف اللاوي المعروف بابن النغرال في فصل،ثم قال:ابن النغريلة وابن النغرالة في التبيان.[4]وأعمال الأعلام ، ونغرالة في البيان المغرب .[5]وابن النغريلي في ذخيرة ابن بسام[6].وابن نعدالة (بالدال) عند دوزي.[7]ولد إسماعيل بن يوسف بن نغرالة سنة 383هـ /993م[8]،وقيل ولد في قرطبة من أسرة يهودية ثرية [9].إلا أن ابن حزم ينفي هذا قائلا :(لم يكن أندلسي الأصل بل أهله من الطارئين على الأندلس فهو غريب عن الأندلس وعن غرناطة معا، لأنه نشأ بقرطبة واضطرته فتنة البربر(399هـ) إلى الهجرة منها فسكن مالقة حيث افتتح له دكانا وكان قد درس التلمود بقرطبة على يد الكاهن (حنوك)كما درس الأدب العربي وغيره حتى أصبح يتقن الكتابة المنمقة بالعربية.[10]

وبعد وفاة الوزير ابن عريف استقدم حبوس إسماعيل بن نغرالة إلى غرناطة واتخذ منه كاتبا ومستشارا ووزيرا وكان ذلك سنة 418هـ/1027م[11].

وهكذا أسند حبوس منصب الوزير الأول إلى رجل يهودي ولم يسنده إلى رجل من البربر أو العرب ، ولعل السبب يعود إلى جهل البربر بالثقافة وعجزهم عن النطق الفصيح

---

[1] - ابن الخطيب ، الإحاطة،ج3،ص538
[2] - ابن حزم الأندلسي: الرد على ابن النغريلة، المصدر السابق، ص 08.
[3] -نفسه ص ص7-8
[4] -عبد الله بن بلقين: التبيان ص36، ابن الخطيب الإحاطةج2 ص434، وأعمال الأعلام ،ق2 ،ص230
[5] -ابن عذاري: البيان ،ج3، ص264
[6] -ابن بسام : الذخيرة ،ق1، ص761
[7] - دوزي:ملوك الطوائ ، ص39
[8] -إسماعيل العربي :المرجع السابق، ص81
[9] - دوزي: المصدر السابق، ص39
[10] - ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق،ص9،دوزي:نفسه، ص39
[11] - إسماعيل العربي : المرجع السابق، ص82

بالعربية ولكونهم لا يحسنون إلا القتال والاستيلاء على المدن ونهب ما فيها من الأموال والذخائر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى عدم ثقة حبوس بالعرب للخصومة القديمة المؤصلة الجذور، وثانية أن اليهود تشكل شريحة كبيرة في المجتمع الغرناطي والتي سميت بغرناطة اليهود.

حضي إسماعيل بن النغرالة بمكانة متميزة أيضا في عهد باديس كوزير أول وكاتبه. وقد يرجع ذلك – كما جاء على لسان ابن حزم الأندلسي– إلى ثلاثة أسباب:

1–كونه غير أندلسي وبالتالي لا تثيره نفسه إلى ولاية.

2–أن في غرناطة جالية كبيرة من اليهود ، فهو أقدر من غيره على جباية الأموال .

3–أن إسماعيل كان حسن المداراة للناس ماهرا في استخراج ما يريده منهم.[1]

وإلى جانب تقليده منصب الوزير الأول والكاتب الأعلى تولى إسماعيل قيادة جيش غرناطة كما تولى جباية الأموال فاختار عماله ومنصرفيه في الأشغال من اليهود، فتصرف هؤلاء بكثير من الشؤون الإدارية والمالية فاكتسبوا الجاه والمال في أيامه[2].وعلى إثر موت ابن النغرالة استوزر باديس بالقاضي أبي عبد الله محمد بن الأحسن بن يحي بن عبد الله بن الحسن الخذامي النباهي، ومن وزاراء باديس أيضا علي وعبد الله ابنا القروي ، وكان عبد الله يتولى إضافة إلى منصبه كوزير جباية أموال مدينة وادي آش، كما استوزر باديس أبا إسحاق إبراهيم بن حكم واستكسبه و كان أبو إسحاق حسن المحادثة لائقا بخدمة الملوك،

[1] - ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق،ص10

[2] -عبد الله بن بلقين: التبيان ، ص37

ومن وزاراءه سماحة الصنهاجي ، وقد ذكر عنه أهل غرناطة أنه اشتد في منع اتخاذ الخمر كان حازما شديد السطوة شجاعا جوادا فاضلا.

وهناك فقهاء آخرون أمثال أبي عبد الله محمد بن عامر المالقي، وأبي النصراني ، وأبي عبد الله بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الخذامي القيرواني الذي تردد ككاتب في بلاط باديس[1]

ومن الفقهاء والقضاة وأهل العلم وكبار الأدباء في عهد آخر ملوك الطوائف عبد الله بن بلقين نجد الفقيه ابن القليعي (أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني)، ويعرف بابن القليعي وهو من أهل غرناطة ومن جلة أعيانها، كان فريد عصره في الخير والعلم وكثير الرواية، ثقة ،صدوق مشارا إليه في كل نازلة توفي في ربيع الأول سنة 498هـ/1104م، وتنسب إليه الساقية الكبرى المجاورة لطوق الحضرة إلى ألبيرة وما والاها، وعبد الله أب حرب مقاتل بن عطية البرزالي وهو من أهل غرناطة ويلقب بذي الوزارتين[2]،وأبا بكر مسكن كان هذا هذا الأخير وزيرا للأمير عبد الله[3].وكان يزعم أنه ينتمي إلى بني زيري الصنهاجي، وألا فضل لأحد عليه[4].وهناك أيضا مؤمل (مولى باديس بن حبوس)، وابن أضحى[5]والفقيه أبو الأصبع عيسى بن سهل عبد الله الأسدي[6] ويكنى بأبي الأصبع أصله من جيان سكن قرطبة ، وتولى فيها الشورى مدة أنابه حكامها ثم دخل سبتة وولي القضاء بها وأخذ عنه جماعة من فقهائها منهم قاضي الجماعة أبو محمد بن منصور والقاضي أبو

[1] - مريم قاسم الطويل:المرجع السابق، ص152
[2] - ابن الخطيب: الإحاطة،ج1، ص147
[3] - ابن بلقين: التبيان، ص118
[4] نفسه ، ص128
[5] -نفسه ص ص 212-70
[6] -ابن بشكوال المصدر السابق ج1 ص635

إسحاق وإبراهيم بن أحمد البصري، والفقيه أبوإسحاق بن جعفر ولازمه وسمع منه القاضي أبو عبد الله بن عيسى التميمي ثم ترك الرواية عنه ثم رجع إلى الأندلس وتولى قضاء غرناطة في عهد أميرها عبد الله بن بلقين إلى أن دخلها المرابطون فبقي يسيرا ثم عوض عنه وبقي في غرناطة إلى أن توفي بها يوم الجمعة ودفن يوم السبت الخامس من محرم سنة 486هـ[1]. بالإضافة إلى أبي علي الحسين بن عبيد الله الحضرمي وهو من أهل غرناطة المتوفى سنة 486هـ/1090م.

تمتع هؤلاء الفقهاء والقضاة والوزراء بمنزلة سامية في ظل اسرة بني زيري، امتلكوا الإقطاعات والأراضي الزراعية، كما هو الشأن في شخصية ابن نغرالة اليهودي الذي يعد من الأثرياء في عهد حبوس بن ماكسن، وفي عهد باديس بن حبوس[2] إلى أن قتل.

هكذا كان حال الفقهاء وأهل العلم والقضاة والوزراء في عهد بني زيري الصنهاجيون، من ألمع فقهاء أهل غرناطة، تمكنوا في كثير من الأحيان السيطرة على مقاليد الأمور في الدولة.

ج –الأسرة الغرناطية:

إن العائلة كانت النواة الأساسية في التنظيم الاجتماعي من خلال مشاركتها في المجتمع الأندلسي عامة وغرناطة على وجه الخصوص، يقول ابن الخطيب: «وحريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النثر

[1] -ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص635، ابن بلقين ، المصدر الساق ص ص145-146
[2] - عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، ص 37.

وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بسترة ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته قدرته».[1]

وهكذا نجد أن ابن الخطيب يصف نساء غرناطة وصفا دقيقا وهو شديد الإعجاب بهن.

استطاعت نوازل العصر أن تكشف لنا عن بعض الجوانب من حياة المرأة والدور الذي قامت به في أسرتها ومحيطها الاجتماعي ، وإبرازها في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.

وتدل الكثير من الشواهد على أن المرأة كانت تتمتع بقدر وافر من من الحرية والمساواة حتى أنها كانت تختلط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات المختلفة .

كان أهل غرناطة يقدسون الحياة السرية، الأب له دور هام في رعاية الأسرة والمرأة هي الأخرى لها دورها المناسب والمحدود داخل الأسرة.

كما وجد في المجتمع الغرناطي نساء يتمتعن بالثراء سخر للحفاظ على الرابطة الزوجية .

[1] - ابن الخطيب : الإحاطة، ج1، ص 139

لقد تحدث المؤرخون عن قدراتها الثقافية والفنية والاجتماعية بإسهاب، كما استعرضوا محاسنها وصفاتها الحسنة، ليرفعوا من مكانتهم لدى الحاكم ويحصلوا بالتالي على ما يريدون من صلات.[1]

ومن هنا لابد أن نفرق بين المرأة التي تعيش في وسط الحكام والملوك والمرأة العامية، فالمرأة في وسط الملوك والحكام لها وضع خاص بسبب تأثيرها في دواليب الحكم، فهي غير مضطرة للقيام بأي عمل داخل البيت أو خارجه، لأن أطفالها تقوم الجواري والحاضنات بتربيتهم، وشغلها الشاغل هو كيف تقوي الروابط مع زوجها، رغم أنها كانت تعلم بعلاقاته مع غيرها.[2]

فالروابط الزوجية كانت هشة في هذا الوسط، فالرجل يستطيع أن يشبع رغباته الجنسية مع غير زوجته مفضلا زوجة على أخرى أو جارية، ورغم كل هذا فالمرأة في هذا الوسط لها وزنها وتأثيرها، عكس المرأة العامية.[3]

أما بالنسبة للمرأة في الوسط العامي، فمن الصعب جداً الإلمام بكل جوانبه نظرا لشح المصادر من جانب، ولأن التاريخ كان للطبقة العليا من جانب آخر.

وعلى العموم فالنصوص التي استقيناها حول المرأة العامية، نستطيع أن نكون فكرة بسيطة عنها، فالمستوى المتدني للأسرة ماديا جعل العلاقة بين المرأة والرجل قائمة على

---

[1] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 262

[2] - ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق محمد يوسف الشيخ وغريب يوسف الشيخ، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 2004، ص 63. ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي ج1.ص 165 يوسف الشيخ وطريف يوسف الشيخ ص 63، در الكتاب اللبناني، ط1، بيروت 2004، ص 120، ص 165.
ابن رشد القرطبي: فتاوي ابن رشد، تحقيق المختار بن الظاهر التليلي، درا الغرب الإسلامية، ط1، بيروت، السفر الثالث ص 991.

[3] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 162، 163.

التعاون والتضامن الذي فرضته ظروف الحياة القاسية، فالرجل انحصرت مهامه في العمل من أجل القوت، أما المرأة فأنصب جهدها في أمور البيت.[1]

وحسب المقري فإن المرأة كانت تساعد زوجها في إعالة الأبناء وتوفير القوت، وذلك بغزل الصوف وبيعه،[2] وهناك بعض الملامح التي تقدمها النصوص عن المرأة الريفية التي تتجاوز في أعمالها الواجبات المنزلية ومساعدة زوجها.

هذا حال الغرناطية في عهد بني زيري الصنهاجي وهو حال المرأة في سائر مدن الأندلس في عصر ملوك الطوائف.

د – التجار والمياسير:

احتل التجار والمياسير وكبار الملاكين والمزارعين الكبار، وأصحاب المشاريع وموظفي الدولة مكانة مرموقة في مملكة غرناطة، ومعظم أفرادها عاشوا في غرناطة كونها مقر الحكم وعاصمة المملكة آنذاك، مما زاد من سكانها وجعلها مركزا للتقدم والتطور في جميع الميادين.[3]

اهتمت هذه الفئة بالعمل الصناعي والتجاري، فتطورت بذلك الحركة الحرفية ووصلت إلى مستوى عال، وظلت شديدة الارتباط بالفئة الحاكمة من أجل الحفاظ على مصالحها، إذ كان التجار الكبار يقفون بجانب الحكام والأمراء حرصاً منهم على جمع المادة والعمل على

---

[1] - صالح خلاص: المرجع السابق، ص 91

[2] - المقري: نفخ الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 273.

[3] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 263

ازديادها، وهذا ما أكده الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري، هو أن التجار كانوا «مع من سبق لا طاقة لهم بالحرب ولا هم أهله ».[1]

وما يمكن أن نخرج به أن أفراد هذه الفئة لم تسمح لهم الظروف بالحصول على ثروات ضخمة، فاكتفوا بحماية ما يملكون ،ويسعون إلى توسيع ثرائهم على حساب غيرهم من العامة، قصد الوصول إلى مستوى فئة الملوك والحكام.

2 – فئة العامة:

المقصود بالعامة، هي الأكثرية الساحقة من أهل غرناطة، والسواد الأعظم من السكان الذين كانوا يفتقرون في الكثير من الأحيان إلى قوتهم اليومي.[2]

وينضوي إليها، العامل والحرفي والتاجر الصغير والأجير والمزارع الصغير، والقصاب وحتى العاطل عن العمل، بالإضافة إلى الفئة الأكثر تهميشا ومنها المعوزون والمتسولون والعبيد.

ونظراً لشح المصادر في هذا الجانب وعدم توجه أغلبية المؤرخين الأندلسيين إلى كتابة تاريخ هذه الفئة الواسعة من المجتمع، ورغم المعلومات القليلة والمتناثرة في صفحات الكتب هنا وهناك إلا أننا استطعنا أن نكون صورة مقبولة عنها، وقد قسمناهما إلى ما يلي:

[1] - الأمير عبد الله: المصدر السابق، ص 150.
[2] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 264

أ – الحرفيون وأصحاب الصناعات:

بالرغم من توفر مادة الخام التي يعتمد عليها الصناع[1] في إقليم غرناطة، وعلى الأيدي العاملة المدربة والتي انتشرت في أنحاء البلاد لتطبيع الصناعات المختلفة التي احتاجتها الدولة نتيجة للتقدم الحضاري والعمراني في عهد بني زيري، إلا أن هذه الفئة من السواد الأعظم من سكان غرناطة، كانت تعاني من مشاكل كثيرة ومتنوعة من بينها الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة عليها لسد ثغراتها المالية، وأكبرها الضريبة السنوية التي كانوا يدفعونها لألفونسو مقابل أمنهم، وضرائب أخرى كانوا يدفعونها كمرتبات للجيش، وترتفع كلما زادت الحروب والفتن.[2]

وعلى الرغم من تلك الحياة القاسية التي كانت تحييها هذه الفئة لتوفير اليسير من الرزق، فإن ذلك النصيب لم يكون مضمونا أوقات الأزمة والفتنة والقحط[3].

فقد كانت للفتن والأزمات والحروب تأثيرات كبيرة على هذه الطبقة اجتماعيا واقتصاديا من ذلك أنها تسببت في الغلاء الذي أثر حتى على طبقات العلماء، حيث أن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس باع كتبه لتوفير متطلبات منزله.[4]

[1] - الصناع هو لفظ أطلقه المغاربة والأندلسيون على العمال ،أنظر، السقطي: (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالكي الأندلسي)، رسالة الحسبة، نشر ج س ، كولان، وليفي بروفنسال، ص 62.

[2] - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1962، ص ص 31، 40

[3] - إبن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تحقيق مأمون بن محي الدين البجان، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت 1996، ص 245.

[4] - ابن فرحون، المصدر السابق، ص ،245 .

ب- الأكره والفلاحين:

مما لا ك فيه أن الفلاحين كانوا يكونون الأكثرية الساحقة من أبناء مملكة غرناطة في عهد بني زيري، إذ كانت المملكة تعتمد في عيشها على الزراعة قبل كل شيء، نظراً لطبيعة المنطقة من جهة ومعرفة أهلها بها من جهة أخرى.

كان أهل غرناطة على علم بطبائع الثمار وغراستها وزمن غرس كل نوع من أنواع الثمار وما يروى بالأنهار أو العيون أو مياه الأمطار أو الآبار وكانوا أحيانا يزرعون ثماراً في غير أوقاتها كقصب السكر، واللوز اللذين زرعا في فحص ألبيرة[1] مع أنهما لا يزرعان في الأندلس إلا في المناطق الساحلية.

ومن المؤكد أن إقليم غرناطة، اشتهر بأنواع كثيرة من الفواكه والخضروات المتنوعة، كما اشتهر بزراعة الزهور شأنهم في ذلك شأن أهل الأندلس.

ويذكر ابن الخطيب قائلا: « إن فحص غرناطة، بحر من بحور الحنطة» لوفرة المحاصيل من القمح والشعير، ويشير الحميري في كتابه الروض إلى انتشار زراعة القطن في وادي آش إحدى مدن إقليم غرناطة قائلا: «القطن بها كثير [2]وإلى جانب القطن زرع الكتان بكميات وفيرة في وادي آش أيضا، هذا راجع إلى توافر شجر التوت في مدن إقليم غرناطة.[3]

[1] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص 96.
[2] - الحميري: الروض، المصدر السابق، ص 192
[3] - نفسه، ص 32

ويضاف إلى هذه الثروة الزراعية من المحاصيل والفواكه، تلك النباتات التي استعملت في صناعة الأدوية، إذ يذكر ابن الخطيب أن جبل شلير كان مستودعا للنباتات الطبيعية.[1]

رغم كل ما تقدم، فإن الفلاحين كانوا يعانون من جملة من المشاكل شأنهم في ذلك شأن أهل غرناطة من السواد الأعظم، فقد كانوا يتحملون سوء الأوضاع والاضطرابات نتيجة الظلم والتعسف الذي عايشوه طوال فترة ملوك الطوائف، بالإضافة إلى الضرائب المفروضة عليهم، كان لها مفعول أقوى في تردي أوضاعهم.[2]

ج– المتسولون:

كانت عادة التسول من العادات المستقبحة عند أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خاصة، يقول المقري: « وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضًلا عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر ».[3]

ولعل السبب في ذلك يعود إلى العقيدة التي يمارسها الغرناطيون في عهد بني زيري، إذ يذكر ابن الخطيب في كتابه اللمحة البدرية وصفا للعامة من أهل غرناطة وحياتهم

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 96.
[2] - كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، 92-495 ه/ 714-1102 م، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، الإسكندرية، ر ث، ص 238.
[3] - المقري: نفخ الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 220، وما بعدها

الاجتماعية: « فأحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والأهواء والنحل فيهم معروفة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية ».[1]

د- العبيد:

لقد كانت الحروب والغزوات منبعا للاسترقاق وجلب العبيد لا سيما في بداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي وذلك بسبب الفتنة التي مرت بها الأندلس والخمول الذي أصا ب النشاط الحربي الجهادي لملوك الطوائف ضد إسبانيا النصرانية ففي معركة الزلاقة 497هـ/1086م يصف لنا صاحب الحلل الموشية عدد الأسرى بالسبي الكثير [2]بينما يعطينا أحد الباحثين رقما لهذا العدد إذ يقول: "لأن كل طرف أعد ما استطاع من قوة ، لذلك لا نعجب من وصول عدد الأسرى الذين سقطوا في يد المغاربة والأندلسيين إلى عشرين ألفا[3].

كما كانت الأسواق الخاصة بالعبيد مصدرا آخر لجلبهم وكثرتهم ، وقد أشارت كتب النوازل إلى المشاكل التي أفرزتها عملية بيع العبيد نتيجة ما كان يقوم به النخاسون من أعمال لإخفاء عيب العبد، وعند اكتشاف المشتري للعبيد يرفع أمره إلى القاضي، وقد ذكرت النوازل العيوب التي يرد بها العبد فتشير نازلة أن طبيبا كشف على جارية فوجد كسرا قديما في ظهرها فحكم القاضي بردها.[4]

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 134.
[2] - مجهول :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1، الرباط، الرشاد الحديثة 1979م،ص65
[3] - بنمليح (عبد الإله): الرق في بلاد المغرب والأندلس ط1، بيروت مؤسسة الانتشار العربي،2004م، ص ص148-152
[4] -ابن سهل عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي ، تحقيق المحامي رشيد النعيمي ،ط1،ج2، شركة الصفحات الذهبية المحدودة 1997،ص722

استغل العبيد أبشع الاستغلال فهم لا يعرفون طعم الراحة فإذا انتهى العبد من عمل كلف بعمل آخر[1]ومن أبشع صور المهانة والازدراء التي تعرضوا لها من قبل أسيادهم استخدامهم في قضاء حاجياتهم الطبيعية.[2]

ومن المشاكل التي عانتها هذه الطبقة هي تعرضهم لأنواع الأذى من قبل أسيادهم، وذلك عن طريق الضرب المبرح مما أضطر بعضهم إلى الفرار.[3]

وحضي بعض العبيد بمعاملة حسنة من قبل أسيادهم فتذكر نازلة أن رجلا زوج عبده وألزم بعد عقد القران متبرعا أن عليه نفقة الزوجة ما استمرت العصمة بينهما [4]. وأوصى رجل عند وفاته بعتق عبدين له معينين وأن يعطيا دنانير ودارا سماها[5].

إن فئة العبيد من بين الفئات المكونة لحركية المجتمع الأندلسي، فهي فئة اجتماعية لها نشاطها وحركيتها ووضعياتها وأدوارها، فئة كانت موجود في كافة مدن الأندلس، حيث لم تخل دار ثري في الأندلس أثناء عصر ملوك الطوائف من العبيد، وكانوا يجلبون عادة من بلاد بعيدة وجلهم من السود الإفريقيين أو من أواسط أوروبا[6] ويطلق عليهم الصقالبة.[7]

[1] -انظر الزجالي :أبو عبيد الله بن محمد القرطبي ، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام،تحقيق محمد بن شريفة ،القاهرة المجلد العربي ،1973،ق2،ص99

[2] -نفسه ص391، بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ص197

[3] -ابن الحاج الشهيد:محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي (ت 529هـ/1135م)،نوازل ابن الحاج الشهيد رصيد الخزانة العامة بالرباط، رقم ج55(نسخة الدكتور محمد الأمين بلغيث)

[4] -ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 520هـ/1126م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، ط1 ج3، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1987م،ص ص1473-1474

[55] -البرزالي: أبو القاسم أحمد المعتل البلوي (ت841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الأمين الهيلة، بيروت دار الغرب الإسلامي2002م،ج5،ص555

[6] - صلاح صالح: المرجع السابق، ص 70

[7] - يرجع الصقالبة في أصلهم إلى الجنس الآري (او الهندوأروبي) والمعروف أنهم نزحوا من آسيا واستمروا يتوسعون في أوروبا حتى القرن العاشر الميلادي حيث ظهرت قوتهم، وظل مستواهم الحضاري ضعيف بالنسبة للشعوب التي اصطدموا بها، وقد انقسموا إلى شعوب عديدة سكنت بلدانا مختلفة مثل بولندا وتشكوسلوفاكيا وبلغاريا وروسيا، يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام:

* 1/ السلاف: الجنوبيون (اليوقسلاف) في الجنوب والوسط ويمثلون البلغار والصرب والكروات والسلوفينيين (سكان سلوفيينيا)

* 2 / السلاف الغربيون: في بولندا وبعض أجزار من ألمانيا وبوهيميا ومروفيا وسلوفاكيا.

* 3/ السلاف الشرقيون: أو الروس وينقسمون إلى الروس الكبار في الوسط والمال، والروس الصغار في الجنوب، والروي البيض في الغرب ،انظر، محمد دياب: تاريخ العرب في اسبانيا، ج1، ص 278، د سهام أبو زيد: تاريخ الصقالبة في مصر الإسلامية ص 144، مجلة كلية الدراسات الإنسانية العدد التاسع سنة 1991م.

ومن أعمال العبيد الخدمة المنزلية، كغسل الثياب والغزل والنسيج والطبخ والكنس وعمل السرير وغيرها[1] كما تولى العبيد خدمة الدواب كعلفها ورعايتها، إلى جانب جمع الحطب للتدفئة كما تولى فتح باب المنزل، واستقبال الزوار، ويتسوقون لقضاء حاجات الأسرة.[2]

كما انخرطت هذه الفئة من المجتمع في سلك الجندية ليكونوا جنودا في الحرس أو الجيش، وكان المستخدمون منهم في القصور يتم خصاؤهم للقيام بخدمة الحريم، وكان معظم تجار الرقيق من اليهود.[3]

والملفت للنظر أن العبيد جردوا من فحولتهم عبر عملية وحشية تسمى الخصي[4] التي حرمها الإسلام، ولذلك فقد كان الخصيان يباعون بأثمان مرتفعة عن غيرهم من الرقيق.

استطاعت هذه الفئة (العبيد) أن يكونوا طبقة هامة في المجتمع الأندلسي عامة وتمكنت من الوصول إلى مناصب سياسية واستقلوا في كثير من المدن الأندلسية أثناء السيل الجارف للفتنة البربرية كالفتيان العامرية.[5]

د. أحمد العبادي: الإسلام في أرض الأندلس ص 125 مجلة المختار من عالم الفكر الكويت سنة 1984. وقد غلب على هذه الشعوب اسم السلاف، وتنطق سكلاف Sclaves فعربها العرب إلى صقلي التي ترادف عبد slave.

وقد أصبح هذا اللفظ يطلق على الرقيق من هذه الشعوب حتى أن الإفرنج قد استخدموه بنفس هذا المعنى في لغاتهم sklav eيالأنجليزية Esclave بالفرنسية، Slavary بالألمانية، (جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج5، ص ص 33، 34).

[1] - ابن رشد القرطبي: فتاوي ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، در الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1987، السفر 3، ص 1516.

[2] - عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، د.ط. الدار البيضاء، المغرب، د.ت. ص 29، 32

[3] - د. لطفي عبد البديع: الإسلام في اسبانيا، ص 36

[4] - عبد الإله بنمليح: المرجع السابق، ص 33

[5] - كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 241.

هـ- الجواري:

يقصد بالجواري أو الإماء، النساء المملوكات اللائي بعن بيع العبيد وتنقسم الجواري إلى نوعين حسب الوظيفة:

- **فالنوع الأول:** يشمل الجواري اللائي استخدمن في القصور لقضاء الحاجات المنزلية، ويطلق عليهم اسم جواري الخدمة، الذين تجاوزن سن الشباب ولا يصلحن للمتعة والتسلية، وينصب دورهن في خدمة أسيادهن في القصور.[1]
- **أما النوع الثاني:** فيطلق عليهن اسم جواري اللذة، وهن يستخدمن لتسلية أسيادهن وجلب المتعة في نفوسهم بمختلف الوسائل[2].فقد سمتها النوازل بعلية الرقيق كما ذكر ابن سلمون[3].تعرضت هذه الفئة إلى أنواع من الأذى من قبل أسيادهن كما تعرضت بعض الجواري للضرب المبرح مما أدى بهن إلى الفرار والبحث عن مكان آخر[4].

وكانت استعارهن مرتفعة جداً[5] ليس بإمكان الإنسان البسيط شراؤهن أو التمتع بهن إلا الأسياد من الفئة العليا.

وقد تعددت أجناس الجواري في المجتمع الغرناطي فهناك الجنس الرومي والجنس الأصفر،والأسود (الزنوج)،لكل واحدة من هذه الأجناس سعرها ومكانتها في أسواق

[1] -ابن سهل: المصدر السابق،ج2،ص ص 656-666
[2] - صلاح خلاص: المرجع السابق، ص 97، 98.
[3] -أبو القاسم بن علي بن سلمون الكناي : العقد النظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام ، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة رقم 1366 ورقة66
[4] -البرزالي : المصدر السابق،ج6،ص ص17-18، الونشريسي ، المعيار،ج9 ، ص222.
[5] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 265

الرقيق.ولعل الجنس الرومي أغلى سعرا مقارنة بالأجناس الأخرى، إذ تذكر نازلة عن جارية رومية لم تبلغ المحيض بيعت بأربعة وثلاثين مثقالا[1]

وكن يتمتعن بثقافة تساعدهن على ممارسة ذلك العمل، كما كانت الجارية تتمتع ببعض الحرية خاصة عندما كان من المغضوب عليهن كما كانت تمارس الدعارة بمساعدة النخاسين الذين يمارسون «القوادة» سعيا وراء المال وتكوين الثروة.

وكثيرا ما تكون العلاقات المشبوهة بين جارية وأحد أفراد الملاكين تتسبب في تعرضها لأنواع العقوبات كالضرب والإيذاء.[2]

وتعتبر غرناطة من أكثر المدن الأندلسية احتواء للجواري[3] ولعل من بين الأسماء التي كانت منتشرة في أوساطهن نجد: عفراء، نعم، جوهرة، سحر، ودار، قمر.[4]

وما نستنتجه أن المرأة وإن اختلفت منزلتها الاجتماعية تعتبر مرآة للمجتمع الذي تعيش فيه ، كما أسست لنفسها مكانة في الهرم الاجتماعي، وكونت شخصية المرأة الفاعلة المساهمة في بناء الأحداث وبلورتها، وقاسمت الرجل في مهمته، دون أن ننسى مساهمتها في شتى الميادين.

---

[1] -ابن رشد ،المصدر السابق،ج3 ص ص15-16،البرزالي:المصدر السابق، ج3،ص306

[2] - ابن حزم: طوق الحمامة، المصدر السابق، 63.

[3] - مريم قاسم الطويل: المرجع السابق، ص 265

[4] - ابن حزم: المصدر السابق، ص 87.

الفصل الثالث
مظاهر الحياة الاجتماعية

الفصل الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية

بعد أن عرضت الفئات الاجتماعية لطبقتي الخاصة والعامة في غرناطة نعرض لحياة طبقة العامة والخاصة معا وهي الحياة التي اشتركت فيها كل طوائف المجتمع الأندلسي عامة والغرناطي خاصة وهي الزواج ،وحياة الأسرة الغرناطية، الأعياد والمواسم ،والاحتفالات واللهو والطرب إلخ...

1- الزواج:

يعتبر الزواج من المناسبات السعيدة داخل الأسرة بواسطته يبني الرجل أسرته وقد كان الزواج يمر بعدة مراحل، يذكر ابن عبد الرؤوف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه، فالاختيار عامة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها، وأحيانا تتدخل الأمهات تدخلا صريحا في اختيار العروس لأبنائهم وكان يقابل هذا التدخل أحيانا بعدم الرضا من قبل الشاب لعدم اقتناعه بالعروس وهذا ما نجده منتشرا بكثرة في البادية الأندلسية.[1]

كما عرفت بلاد المغرب والأندلس الخاطبة التي تكون عادة من المسنات، فتقوم بالتمهيد للاتفاق بين الشاب والفتاة، على سبيل حب الخير والوصل بينهما مصداق ذلك ما جاء في نوازل المعيار، أن رجلا وامرأة ووليا اتفقوا على تقدير الصداق، والموافقة على عقد النكاح على لسان الخاطبة[2]، وكانت البكر تستأذن وتسأل إذ يقوم سامعان فيسألانها أو

[1] ابن رشد:المصدر السابق، السفر الثاني،ص1013
[2] الونشريسي: المعيار،ج3،ص121

يسألها غيرهما بحضورها، فيقال لها:إن فلان خطبك على مهر كذا فإن رضيت فاصمتي، فإن صمتت لزمها ذلك، وكذلك إذا ضحكت، أما إن بكت فحملها الفقهاء على الوجهان.[1]

ومن خلال بعض نوازل العصر أنه وجد من يكره بناته على الزواج، مما يضطرهن إلى الفرار من أزواجهن وأخرى عندما أرغمت على الزواج قامت بقتل نفسها.

كما عرف عن ظاهرة تزويج الأبناء في سن مبكرة، سواء بالنسبة للإناث أو الذكور، وكثيرا ما كان يحدث هذا الزواج العديد من المشاكل بسبب عدم التزامهم بالنكاح، ففي نوازل ابن رشد مثلا، أن رجلا زوج ابنه صغيرا فلما بلغ الابن أبى.[2]وتزوج رجل صبية يتيمة عمرها خمسة عشر سنة وبعد مدة هربت الزوجة من زوجها، وأمثال هؤلاء كثير في مملكة غرناطة وسائر بلاد الأندلس[3]

وكان الزواج يوثق بعقد يتضمن تاريخ الصداق، وشروط الزواج، ويكتب هذا العقد غالبا عند صاحب خطة المناكح الذي اشترط ابن عبدون ألا يعطى إلا لرجل فقيه ورع،[4] ويكون شابا.

ويشير قاضي غرناطة في عهد عبد الله :"أن فرائض النكاح ثلاث:الولي والصداق شاهدان"، وسنته إظهاره والوليمة يوم الدخلة، والنكاح مندوب إليه لمن قوي عليه ولا يكون إلا

[1] ابن الحاج : المصدر السابق، ورقة62-63
[2] - ابن رشد:المصدر السابق،ج1، ص ص180-181
[3] - نفسه،ج1، ص ص294-295
[4]- ابن عبدون، المصدر السابق،ص13

بولي ذكر وصداق ولا حد لأكثره، وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيــلا أو ما قيمته أحدهما.[1]

والملاحظ أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصاريف كثيرة فقد كان أجر المأذونين مرتفعا وكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها، ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعا كاملا في منزل العروس تتلقى فيها تهاني نساء الأسرة والصديقات والأقرباء[2]

وكان عقد الزواج يتم في المسجد، كما كان المغنون يشتركون في إحياء حفلات الزواج مستخدمين في ذلك الدف العربي الذي يشبه الغربال خاصة[3].

ويذكر ابن عبد الرؤوف ضرورة عدل الزوج في حالة تعدد زوجاته بقوله:(إنه على الرجل الذي تزوج بأكثر من واحدة أن يعدل بينهن في الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهن على صاحبتها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة)[4].

ومن بين الظواهر التي انتشرت في البلاد، بعض الأنكحة الفاسدة كأن يتزوج بامرأة زواج متعة إلى أجل مسمى بلا ولي ولا صداق ما عدا نصف درهم،فقد أفتى ابن رشد أن

---

[1]- ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروف بالأحكام الكبرى)،تأليف الفقيه القاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني ت486هـ، تحقيق المحامي رشيد النعيمي، ج1،ط1،شركة الصفحات الذهبية المحدورة 1417هـ/1997م، سكتلندا في المملكة المتحدة،ص371

[2] Levi provencale l'Espagne m.v111 ;p403

[3] د.سامية مصطفى مسعد:الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط1، 1423هـ/2003م،ص253

[4] ابن عبد الرؤوف القرطبي:آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، ط1،بيروت 2005م،ص ص57-58

هذا الرجل زاني وجب إقامة الحد عليه[1]،كما تزوج رجل امرأة زنا بها قبل أن تستبرىء من الماء الفاسد، وتوالدا، فأفتى ابن رشد بفسخ العقد.[2]

وكان مقدار الصداق متباينا في قيمته حسب ثراء الزوج، فقد أثارت نازلة بغرناطة سنة 461هـ/1069م أن رجلا ساق إلى زوجته في صداقها دارا من دارين له.[3]واشترطت بعض الزوجات صداقا غاليا.

أما الأزواج من الطبقة الدنيا ورغم ضيق حالهم وفقرهم، إلا أنهم أقبلوا على الزواج لأنه باب للرزق حسبما تشير إليه أمثالهم، فمن ذلك قولهم:"تزوجوا يغنكم الله "، وقالوا:"أزوج يفتح الله عليك".[4]وقد سهل بعض الآباء على هؤلاء الفقراء الأمر حينما كانوا يؤجلون في صداق بناتهم أجلا.[5]

وتفيدنا نوازل العصر أن الآباء كانوا يتصرفون في صداق بناتهم.[6]ويكون الصداق عينا أو نقدا.وكان الجهاز من الأمور المهمة التي تناقش بين الأسرتين، لأن مكونات هذا الجهاز مدعاة للتفاخر بين أفراد الحي والعائلة والأصدقاء.[7]

وقد أشارت بعض النوازل إلى مكونات الجهاز، كأن يشتري الأب ما يلزم العروسة من ثياب لائقة، ولحاف، وبساط،ووسائد وبعض الأقمشة والسراويل.[8]ومن عادات أهل

[1] ابن رشد :المصدر السابق،ج3،ص1535
[2] ابن رشد :المصدر السابق،ج1ص279
[3] ابن سهل: ديوان الأحكام الكبرى ،ج1،ص427
[4] -الزجالي: المصدر السلبق،ص24،د.سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق،ص82.
[5] الشعبي:أبو مطرف عبد الرحمن بن القاسم.ت 497هـ/1104م، الأحكام، تحقيق صادق الحلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي1992م،ص405
[6] الشعبي: نفسه،ص401
[7] دندش:عصمت عبد اللطيف، أدوات سياسية للنساء في دولة المرابطين(بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية)، غرناطة،10 نوفمبر 1989م،ص330
[8] الونشريسي، المعيار،ج3،ص116

غرناطة وسائر المدن الأندلسية في الزواج أن الأزواج يقدمون لزوجاتهم هدايا، تسمى هدية العرس.[1]

وفي الأخير فقد أشارت نازلة أن عقود الزواج كانت تتعرض للضياع بسبب الفتنة، كما أن المتتبع لحركية هذه الظاهرة قد يجد تراجعا وعزوفا حيث قل الزواج والإقبال عليه بسبب تأثيراتها على الأوضاع الاجتماعية من قبل الشباب والشيوخ وهذا ما انعكس سلبا على النساء خاصة في المناطق التي تضررت من الفتنة البربرية.

2- الطلاق:

لقد أمدتنا نوازل العصر بمعلومات قيمة وصورة واضحة عن العلاقات الزوجية، فمن خلال تفحصنا لهذه النوازل تبين لنا أن العلاقات بين الزوجين كانت متباينة بين الحب والود والتعاون وبين التشنج والمشاجرات، وانتهت بعض هذه العلاقات بالانفصال.

لقد كان الطلاق–الانفصال–أحد الظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمع ، فابن عبد الرؤوف يرى بأن يؤدب من يحلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث[2]، كما يؤمر الرجل ألا يتخذ النكاح والطلاق هزلا ولا لعبا لقوله تعالى:« وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً »، كما يؤدب

---

[1] ابن سهل، المصدر السابق،ج1،ص407

[2] ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق،ص58

من شكت به امرأته وعليها آثار ضرب مبرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك[1]،إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها، فلا يعرض لها بمكروه.

كما يؤمر الموثقون ألا يعقد مراجعة رجل طلق امرأته خلعا[2] أو تمليكا[3]وهي حامل منه. فقد كانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج إذا أخل بإحداها كان الطلاق نتيجة حتمية، وحق تمارسه المرأة في أي وقت شاءت.

وتأثرت ظاهرة الطلاق خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بالسياسة والاقتصاد والمجتمع.[4]فانعكس سلبا على الأسرة والمجتمع خاصة في حضانة الأطفال، التي خلفت مشاكل عديدة مما أثر سلبا على تربية الأطفال والنمو النفسي الذي يصبح متذبذبا بسبب الحرمان العاطفي.[5]

وقد طرحت النوازل عدة أسباب للطلاق فمن هذه الأسباب ما ذكرناه سابقا، حول شروط عقد النكاح إذا أخل الزوج بشروطه يحق للمرأة أن تطلق، ومن الأسباب كذلك الضرر الذي يلحق بالزوجة بسبب غياب الزوج عن زوجته فترة طويلة، فتشتكي الزوجة عدم النفقة، فتقوم هي أو والدها عند القاضي لطلب الطلاق.[6]كما كان يحدث الطلاق بسبب

---

1 ابن عبد الرؤوف ، المصدر السابق،ص59

2 طلاق الخلع:الخلع أو الفدية والصح والمبارأة كلها تؤول إلى معنى واحد هو:بذل المرأة العوض على طلاقها، انظر:ابن رشد، بداية المجتهد،ج2،ص78 وما بعدها

3 طلاق التمليك:هو تفويض الطلاق ’لى الزوجة، وللرجل أن يجعل إلى المراة طلاقها، وذلك على وجهين: توكيل وتمليك،ففي التوكيل له أن يرجع ما لم تطلق نفسها،وفي التمليك ليس له ذلك،انظر: ابن رشد، نفسه،ص ص71-72-73

4 محمد عبد الوهاب خلاف:قرطبة الإسلامية في ق5هـ/11م:الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر،د.ط،تونس 1984،ص ص285-286

5 ابن رشد: المصدر السابق، السفر الثاني ،ص ص674-952-1176

6 الشعبي: المصدر السابق،ص ص350-434، ابن سهل،: ديوان الأحكام الكبرى،ج1،ص484، البرزالي: المصدر السابقّ،ج2،ص521،الونشريسي، المعيار،ج3،ص ص407-408

عصيان الزوجة أوامر زوجها، أو أن تخرج لتقضي حاجياتها بدون علم الزوج، وما إلى ذلك من السلوكات التي تكون سببا في الانفصال في المجتمع.[1]

هكذا كان الطلاق يحدث لأتفه الأسباب، حتى أن المرأة التي لم تقم بتنظيف أنفها من القاذورات تكون عرضة للطلاق وهذا ما يتبين لنا بأن هناك من النساء اللاتي لا تعتنين بمظهرهن مما يحدث نفورا من طرف الزوج، والتفكير في إعادة الزواج[2]، ثم أن للأهل دورا كبيرا في فض الخلافات الزوجية الطارئة قبل عرضها على قاضي الجماعة وحدوث الطلاق[3] .

والمطلقة تقضي العدة في دارها التي طلقها فيها زوجها، فإذا انقضت العدة طالبها زوجها بالخروج من البيت، أما إن كانت حاملا فإنها لا تخرج من دار مطلقها إلا بعد الوضع.[4]

وفي مسألة الطلاق اختلاف واضح بين العلماء والفقهاء على حسب ما جاء في مذكرات ابن سهل قاضي مملكة غرناطة في عهد بني زيري، فمنهم من يرى أنها ثلاث، والبعض الآخر يرى أنها واحدة.[5]

[1] البرزالي: المصدر السابق ،ج2،ص ص58-59
[2] - الزجالي : المصدر السابق،ص، 13.
[3] نفسه،ص17
[4] ابن رشد:المصدر السابق،ج3،ص ص1278-1279، الونشريسي: المعيار،ج4،ص ص5-79-483
[5] ابن سهل: المصدر السابق،ص ص493-496،

3- الاحتفالات والأعياد:

أ – الاحتفالات والأعياد الإسلامية:

حرص المجتمع الغرناطي على إقامة الأعياد الدينية على نسق ما كان يعرفه المشرق[1]، ويدخل هذا الحرص في إطار اهتمامهم بالحياة الدينية، ويعتبر شهر رمضان من الأشهر الهامة في الحياة العامة لأهل غرناطة، حيث يقوم القاضي بإعلان اليوم الأول من شهر رمضان، بعد خروجه مع فقهاء المدينة باستطلاع الهلال وكان يحدث أحيانا اختلاف بين قضاة الأقاليم والمدن المجاورة لمملكة غرناطة حول رؤية الهلال[2].

ومن عادات أهل غرناطة في رمضان أن يقوموا بتزيين المساجد فيقومون بإنارة المساجد بالمصابيح ذات الألوان[3]ويبدأ يوم الصائم بالسحور، واعتاد أهل غرناطة وسائر مدن الأندلس في هذا الشهر المعظم استعمال الأبواق في المساجد وجوامع الحواضر ليستيقظ النائم للسحور، وقد أنكر ابن الحاج عليهم استعمالها،[4]ويجتهد الصائم في الطاعة إذ تكثر في هذا الشهر مجالس العلم والذكر وإقامة الحفلات الدينية ويكثر فيها الصائم من قراءة القرآن كما يعتبر الشهر موسما للصدقات.

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص137.
[2] ابن الحاج : المصدر السابق، ورقة 318، ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق،ص45
[3] البرزالي، المصدر السابق ،ج1،ص340، د.سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق،ص301
[4] البرزالي، نفسه،ج1، ص340،ج2،ص434

وخلال هذا الشهر تشهد شوارع المملكة على وجه العموم حركية لا مثيل لها تضج بالحيوية والنشاط يحث تظل المتاجر مفتوحة لوقت متأخر من الليل ، والباعة الجائلون والحلوانية وباعة المشروبات يجتهدون في إرضاء عملائهم.

وخص الغرناطيون في هذا الشهر المبارك ليلة السابع والعشرين بالإكثار من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن ويعقد في تلك الليلة مجالس العلم في الزوايا والأربطة التي تحفل بحلقات الذكر والموشحات الدينية، ومن مظاهر الاحتفال بهذه الليلة ابتياع الحلوى.

قد كان الناس بعد الاحتفال بهذه الليلة المباركة من شهر رمضان يتهيؤون لاستقبال يوم العيد، وذلك بتحضير أصناف مختلفة من الحلويات، فيتجهون في صبيحة يوم العيد إلى المساجد من أجل أداء صلاة العيد مصطحبين معهم نساءهم وأطفالهم .وبعد الانتهاء من الصلاة يخرج الناس إلى الشوارع والميادين والمنتزهات والأماكن العامة مرتدين أفخم الملابس الجديدة ابتهاجا بالعيد كما تقوم الأم بتحضير أصناف متعددة من الأطباق[1].

أما الحكام والأمراء فتتوافد عليهم كبار رجال الدولة للتهنئة وما يتبع ذلك من ولائم تقدم لهم وأعطيات وهبات تمنح لهم وينشد لهم الشعراء أشعارا مهنئينهم بهذا العيد.

ومن العادة المتفشية في مملكة غرناطة خروج العائلات إلى المقابر مختلطين.[2]

أما عيد الأضحى الذي يأتي في العاشر من ذي الحجة فقد حرص الناس مهما بلغ مستواهم المعيشي على إقامة هذه الشعيرة ومن البدع المستحدثة فيه شراء الأضحية

[1] ابن رشد، المصدر السابق، السفر الثاني، ص1120
[2] دندش:الأندلس في نهاية المرابطين، ص332

للافتخار والتفاخر والزينة، وجرت السنة أن يتم ذبح الناس لأضحيتهم بعد ذبح أضحية إمام المسجد، فقد أشارت فتاوى ابن رشد إلى وجوب إخراج أضحيته إلى المصلى حتى يشاهدها الناس، ولا يذبحون قبل انصرافه إلى منزله[1].

اختلفت عادة ذبح الأضاحي بين أئمة أقاليم الأندلس فقد أثارت نازلة أن بعض أئمة في بعض مناطق الأندلس يخرجون أضاحيهم إلى المصلى فيذبحونها بعد الانتهاء من الصلاة والخطبة، وفي مناطق أخرى لا يخرج الإمام أضحيته إلى المصلى، بل يذبحها في داره[2]،وحدث آخر أن إماما عاد إلى داره وأخر الذبح قليلا فذبح جمع من الناس قبله، وهذا خلاف بين المذاهب كما ذهب إليه ابن رشد، والمتفق عليه ألا يذبح الناس قبل الصلاة.[3]

ويبدو أنهم أخذوا يحتفلون أيضا بمولد النبوي الشريف بعد أن عرف الاحتفال به في المشرق وبلاد المغرب قبل فتحهم لبلاد الأندلس[4]، ولعل ذلك يرجع إلى تعظيمهم للنبي عليه الصلاة والسلام بالاحتفال بمولده ودراسة سيرته الشريفة، وإلى الشعور الديني القوي لديهم الذي أدى بهم إلى التحدي لإثبات وجودهم في هذه البلاد البعيدة التي تقع في أوربا المسيحية، وهذا يفسر لنا تلك الظاهرة الواضحة التي تميزت بها الأندلس كدولة إسلامية في أوروبا وهي ما يطلق عليه البعض ظاهرة (المشاركة والتحدي).

[1] ابن رشد: المصدر السابق، السفر الثاني،ص1120
[2] الونشريسي: المعيار،ج2، ص ص32-33
[3] ابن رشد: المصدر السابق،ج2،ص ص1130-1134
[4] السندوبي:تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة1948م،ص62

وقد حرص الغرناطيون على الاحتفال به صلى الله عليه وسلم احتفالا كبيرا لإيقاظ الشعور الديني وخاصة بعد تساقط القواعد الإسلامية في الأندلس الواحدة إثر الأخرى وذلك عل المستويين الرسمي والشعبي بمواكب الشموع التي لا تزال موجودة حتى اليوم ببعض مدن المغرب.[1]

كما يظهر أنهم كانوا يحتفلون كذلك بيوم عاشوراء بالصيام والتوسعة على أنفسهم وأولادهم في هذا اليوم، ومن هذا نستشف أن الخلفاء والأمراء كانت لهم عطايا وهبات في هذا اليوم يوزعونها على بعض الناس.[2]

وهناك عيد يحتفل به المسلمون عامة لاسيما في مملكة غرناطة وهو يوم الجمعة، فهو عيد الأسبوع، تقام فيه صلاة الجمعة، يقول ابن الخطيب : « فتبصرهم في المساجد، أيام الجمع كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة» .[3]

إلى جانب هذه الاحتفالات الدينية هناك مهرجانات واحتفالات شعبية التي حرص عليها أهل غرناطة وهي عيد العصير وهو احتفال شعبي يقام عند جمع محصول العنب والعصر، فكان أهله يقيمون في الحقول عدة أيام حيث يقول ابن الخطيب:"وعادة أهل المدينة(غرناطة) الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه،بما يشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص بأولادهم، معولين في ذلك على شهامتهم وأسلحتهم.[4]ويتم جمع المحصول وعصره

[1] د.أحمد العبادي:المسلمون في أرض الأندلس، مجلة المختار من عالم الفكر، ع 1، الكويت 1984،ص141
[2] ابن الخطيب: نفح الطيب،ج1،ص326.
[3] - ابن الخطيب : الإحاطة، ج1، ص 135.
[4] ابن الخطيب :الإحاطة،ج1،ص138

وسط احتفال يسوده المرح والغناء والرقص، ويعقد الشعراء والأدباء مجالس يلقون خلالها القصائد الشعرية تصف ابتهاج الأهالي بعيد العصير[1].

ويذكر المقري، أن أهل مالقة كان لهم احتفال خاص بهم، بمناسبة صبغ الحرير في هذه المناسبة يقوم الأهالي بنصب الخيام في بطن الوادي بوضع يسمى الطراز، وأثناء العمل في صبغ الحرير تسمع الأغاني وسط جو مليء بالبهجة والسرور والمرح.[2]

ب- الأعياد المسيحية:

إلى جانب الأعياد والاحتفالات الإسلامية والمراسم الفلاحية، شارك الغرناطيون إخوانهم النصارى المعاهدين احتفالاتهم بأعيادهم لأنهم جزء مهم ساهم في تشكيل المجتمع وهذا يدل على قمة التسامح الذي اتبعه المسلمون نحو أهل الذمة[3]،ويمكن حصر الأعياد المسيحية فيما يلي:

1-عيد النيروز:أو عيد الربيع هو أحد الأعياد الكبرى في غرناطة يحتفل به كل المسيحيين في أوائل يناير كل عام، وهو من بين الأعياد التي احتلت مكانة مرموقة ورفيعة ليس فقط في نفوس الغرناطيين بل في بلاد الأندلس جمعاء، وكانوا يعتبرون الليلة السابقة لهذا العيد أنسب الأوقات للزواج.

[1] - ابن بسام :المصدر السابق، ج2،ص882
[2] - المقري: نفح الطيب، ج1،ص ص169-170
[3] - كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف، ص 85.

أصل كلمة النيروز فارسي، ويقال أن أول من اتخذه «جمشيد» أحد ملوك الفرس، ويقال «خمشاد» ومعنى جم: القمر ، وشاد: الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن «طهرمرت» لما هلك ملك بعده «حمشاد » فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز «أي اليوم الجديد»[1] وفي هذا اليوم يقوم الناس بصنع الحلوى بأشكال وصور متنوعة، كما يقومون بشراء الفواكه واللحوم وبعض مواد الزينة كالحناء والبخور، رغبة في إشاعة البهجة والسرور في نفوس أفراد الأسرة.[2]

وفي عيد النيروز اعتاد الأغنياء من الناس وكذلك الوزراء على تقديم هدايا ثمينة إلى الملوك والأمراء تعبيرا عن الاحترام والتقدير كما كان الناس يتهادون بعض الأبيات الشعرية فيما بينهم.[3]

2 – عيد العنصرة أو المهرجان:

الذي يصادف الرابع والعشرين من يونيو وهو مشهور ليس فقط في غرناطة بل في بلاد الأندلس ككل.فعنه يقول ابن خلكان:"إن يوم العنصرة هو يوم مشهور ببلاد الأندلس وهو موسم للنصارى كالميلاد ونحوه وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران، فيه ولد يحي بن زكريا عليهما السلام.[4]

[1] - حسن أحمد النوش : المرجع السابق، ص 232
[2] - نفسه ، ص 233.
[3] انظر ابن خاقان: المطمح،ص206
[4] ابن خلكان: المصدر السابق،ج7، ص227

وقد ظهر هذا العيد في أمثالهم فصورت ما يقام فيه من احتفالات كقولهم:"الكبش المصوف ما يكفز على العنصرة".[1]

ومن الأعياد المسيحية الأخرى المحتفل بها في غرناطة نذكر الاحتفال بليلة العجوز، وهي ليلة آخر السنة الميلادية.[2]

إن إقامة أهل غرناطة لهذه الاحتفالات يدل دلالة قطعية على مدى تأثير النصارى المعاهدين على حياة الأندلسيين من جهة، ومن جهة أخرى سياسة التسامح التي عاش في كنفها هؤلاء تحت ظل الحكم الإسلامي، ولا شك أن عامل التجاور كان له دور في التأثير المتبادل كما يرى أحد الباحثين[3].

ج- **الأعياد اليهودية**:أعياد اليهود كثيرة، نذكر البعض منها:

1- عيد الفصح: المعروف بعيد الفطير يكون في شهر أكتوبر من كل عام، ويدوم سبعة أيام، يأكلون فيها الفطير، وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه.[4]

2- عيد حوماريا: ويسمى عند اليهود بالكبور وهو عندهم الصوم الكبير، أما عقوبة من لم يصمه هو القتل في شريعة اليهود ،ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة، ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياهم بهذا الصوم.[1]

---

[1] الزجالي:المصدر السابق:ق2،ص85
[2] نفسه،ص23
[3] بيار غيشار: المرجع السابق،ص164
[4] - النويري : نهاية الأدب، السفر الأول، ص 196.

3- عيد الأسابيع : ويعرف بعيد العنصرة[2] ويحتفل به بعد عيد الفصح بسبعة أيام.

وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكمل فيها الدين حيث يصنعون في هذا العيد قطائف يتفنون في صنعها ويجعلونها بدلا عن المن والسلوى الذي نزل عليهم[3].

ويتزامن هذا العيد مع فصل الصيف أي موسم الحصا د. ويسمى بالإنجليزية pentecost[4]، بالإضافة إلى أعياد أخرى كعيد المظلة وعيد الفوز[5]

4 – الزي الغرناطي:

كان أهل غرناطة شأنهم شأن الأندلسيين يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون، وبلغ اهتمام الخاصة منهم أنهم كانوا يفضلون الأزياء المحكمة الصنعة من إنتاج المرية التي كانت تنتج أفخر الثياب وأغلاها، يقول المقري: « وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون ويفرشون وغير ذلك ما يتعلق بهم».[6]

ويؤكد ابن الخطيب هذا الوصف فيقول:"وصورهم حسنة...ولباسهم الغالب على طرقاتهم بينهم الملف المصنوع شتاء وتفاضل أجناس البز بتفاضل الجدة والمقدار[7].ومن مظاهر اعتناء الأندلسيين بمظهرهم ولباسهم أنهم خصصوا ألبسة للنوم وأخرى للحياة اليومية وثالثة للمهنة، ورابعة للأعياد والجمع،كما أنهم كانوا يختارون هذه الألبسة حسب

---

[1] - النويرى ،المصدر السابق ،السفر الأول، ص 195.
[2] - العنصره : كلمة عبرية معناها: اجتماع أو محفل، وصار هذا العيد يعني محفل تذكار نزول أسفار موسى الخمسة (أنظر، نافع عبد الله: الأعياد والمهرجانات في الشعر الأندلسي) دار الوسام، ط1، الشارقة، 2003، ص 41.
[3] النويري، المصدر السابق،ص196
[4] نافع عبد الله :نفسه ،ص22، مسعودي كواتي، المرجع السابق،ص137
[5] نفسه،ص ص136-137
[6] - المقري: نفخ الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 214.
[7] ابن الخطيب: الإحاطة،ج1، ص ص134-135

الفصول.[1]ويعود الفضل في هذا كله حسب المقري إلى زرياب(أبي الحسن علي بن نافع)، حيث يقول عنه:"ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به".[2]

وقد ارتبطت الأزياء بصناعة النسيج في الأندلس، حيث يرجع الفضل الكبير إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط[3] حيث شهد عهده إقبال أهل الأندلس على التأنق في الزي، والتماس مظاهر الأبهة والفخامة في ملابسهم، فأقيمت دور الطراز في كثير من المدن الأندلسية، واختصت كل منها بنوع من المنسوجات.

تعد صناعة الغزل والنسيج والحرير من الصناعات الرائجة في الأندلس وبخاصة صناعة الحرير، التي اشتهرت في مدينة جيان بشكل كبير.[4]

ولهذا فالحديث عن الأزياء سوف يكون عاما أي ينطبق على مدن الأندلس ككل، ماعدا بعض الحالات.

- **العمائم:** يقول ابن الخطيب: « والعمائم تقبل في زي أهل هذه الحضرة أي(غرناطة)إلا ما شذ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند المغربي منهم»[5].

كانت العمائم أكثر انتشارا في غرب الأندلس عكس شرقها الذي يكاد يخلو منها حيث يقول المقري: « وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم، لاسيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة وقد

[1] البرزالي: المصدر السابق،ج2،ص385
[2] المقري، المصدر السابق،ج3،ص128
[3] - هو أبو المطرف، وقيل أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أمه يقال لها حلاوة وهو الرابع من أمراء بني أمية، بويع سنة 206 هـ ،أنظر: النويري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ص 93 .
[4] - الحميري: الروض، المصدر السابق، ص 183
[5] - ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص 136.

تسامحوا بشرقها في ذلك».[1] ثم إن العمائم كانت اللباس الشائع للرأس لدى رؤساء البربر، أما أهل الأندلس فلا يميلون إلى تغطية الرأس بالعمائم، باستثناء أهل العلم من الفقهاء.[2]

- **القلانس والطيلسان والغفائر:**

- **أولا: القلنسوة:** هو شيء يغطي الرأس كانت محبوبة لدى الأندلسيين، وهي إما من الوشي أو الصوف أو الفراء، يستخدمها القضاة والملوك والوزراء[3] أكثر من غيرهم.

- **ثانيا: الطيلسان:** يستخدمه عامة الناس وخواصهم، وهو ثوب يوضع على الرأس وينسدل على الكتفين.[4]

- **ثالثا: الغفائر:** هي من ألبسة الرأس، مصنوعة من الصوف، كانت شائعة في أوساط اليهود كتمييز لهم.[5]

- **المآزر والأقمصة:**

الإزار لباس يغطي القسم الأدنى من البدن ولعل انتشاره كان بغرناطة، وهو لباس مشترك بين الرجال والنساء، وهذا النوع من اللباس كان يلبس في فصل الصيف.

أما شتاء نلاحظ انتشار الملابس الصوفية في غرناطة لأن أهلها يهوى هذا النوع من الألبسة.[6]

---

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 222
[2] - سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في العصر الإسلامي، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية الآداب الإسكندرية، 13-15 أفريل 1994، ص 254.
[3] - نفسه ، ص255
[4] - نفسه، ص ص 258، 259
[5] - المقري: المصدر السابق، ج1، ص 223
[6] - د. سامية مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 256.

- الأقمصة:

كانت بيضاء أو سوداء وتنسج من الكتان الرقيق يلبس في جميع مدن الأندلس، حيث نجد بعض النساء ولاسيما الجواري يفضلن هذا النوع من الأقمصة الرقيقة الملاصقة للبدن لإبراز مفاتن أجسامهن، ويذكر المقري أن جارية مشت بين يدي المعتمد بن عباد وعليها قميص لا يكاد الحاضرون يفرقون بينه وبين جسمها.[1]

هذا وقد استخدم أهل غرناطة الحلي بأنواعها الذهبية والفضية بالإضافة إلى الأحجار الكريمة التي كانت موجودة بكثرة في الإقليم، يقول ابن الخطيب: «رحيلهم في القلائد والدمالج والشنوف وخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد في أولى الجدة واللجين في كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المتندة إلى ظل، أو آلة معروفة موفورة».[2]

5 – الطعام والشراب:

مما لاشك فيه لما فتح المسلمون من عرب وبربر بلاد الأندلس، كانوا يعتمدون على الأطعمة التي كانت موجودة عندهم، وبعد الاحتكاك والتزاوج بين المسلمين والأسبان، أخذت أنواع من الأطعمة الإسبانية تعرف طريقها إلى موائد المسلمين، وبمرور الزمن وبمزيد من الاختلاط تنوعت الأطعمة بشكل كبير وواسع، في مدن وعواصم الأندلس ككل، وبدأت ألوان الترف والبذخ تتسرب إلى أطعمة الأمراء والخلفاء والخاصة، حتى كان بعضهم إذا جلس إلى

[1] - المقري، المصدر السابق، ج4، ص 124
[2] - ابن الخطيب : المصدر السابق، ص ص 138، 139.

الطعام يقف الأطباء بين يديه ومعهم (الجوارشنات) أو الأدوية الهاضمة، إلى جانب أنواع الشراب الأخرى، كما أن البعض كان يستشير الأطباء فيما يأكل ويشرب.[1]

وكان لزرياب[2] تأثير كبير على الطبخ الأندلسي ككل، فقد أدخل العديد من الألوان العراقية ودعا إلى ثقافة المائدة وترتيب الأطعمة وعدم تقديمها دفعة واحدة[3]، إذ يقول عنه المقري:"حتى اتخذ ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه، واستحسنوه من أطعمته وهو أول من اجتنى بقلة الهليون ، المسماة بلسانهم الإسفرنج ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله.[4]

هكذا وقد تفنن سكان إقليم غرناطة في صنع كثير من ألوان الطعام المختلفة وصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة بالأطعمة والحلوى وأصناف الفواكه والأشربة المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغرناطية التي كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة[5] والخضروات[6] يقول ابن الخطيب : « وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقا موقوما، وهي – أي غرناطة – ذوات الفواكه من اللوز والإجاص والكمثري محدقة»[7]،

---

[1] - أنظر : د. طه فدا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 101.
[2] - هو الحسن بن علي بن نافع المعروف بزرياب، وذه كنية ألصقت به بسبب اللون الأسمر الداكن الذي طغا على بشرته ، كان مولى للمهدي العباسي، وتلميذ لإسحاق الموصلي، اشتغل بالغناء، ارتحل إلى المغرب ثم الأندلس التي أحدث فيها ثورة في الغناء والتحول الاجتماعي.انظر، المقري : المصدر السابق،ج3،ص122، إبراهيم بيضون :المرجع السابق ،ص268
[3]- ديفد ونيز: فنون الطبخ في الأندلس –الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس – مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2، بيروت،1999ج2،ص1022
[4]- المقري : نفح الطيبب،ج3،ص127
[5] - ابن الخطيب: الإحاطة، ص 120، الحميري، الروض، ص ص، 23، 24
[6] - نفسه، ص ص 115، 116
[7] - نفسه، ص 120

بالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور[1]، وأنواع الأسماك المختلفة[2] وأنواع التوابل والأفاوية[3] والتي استخدمها أهل غرناطة في طعامهم.

غير أن اللحوم كانت حكراً على العائلات ذات الدخل الكبير أما الطبقات الميسورة فقد كانت عاجزة عن ذلك، خاصة أيام الفتن والحروب.

لقد تفنن الأغنياء في غرناطة في ظهور نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة، فمثلا كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها فقد كانت تحمر بالجوز والزعفران، أو تحمر باللوز المدقوق أو تحمر بماء الكزبر الأخضر أو بالصنوبر أو بالفستق، كما كانوا يشوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية.[4]

هذا الإسراف في المأكل والأبهة التي امتازت بها الخاصة في غرناطة لم يكن موجودا عند العامة من الناس وخاصة الطبقات المعدمة التي لم تستطع توفير سعر الزيت للإنارة.[5]

وكان الأندلسيون من أهل غرناطة شأنهم باقي الأندلسيين لا يستعملون السمن أو الزبد في طعامهم إلا نادراً، كما كانوا يفضلون عليه الزيت، وكان الزيت يدخل في معظم

[1] - ابن الخطيب : الإحاطة، ص 125
[2] - الحميري: الروض، ص 186
[3] - ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص 98
[4] - ابن رزين : الطبيخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، تحقيق أمبروزيو أوبني ميراندا، تقديم حسين مؤنس، مدريد 1955، ص 132.
[5] - المقري : المصدر السابق، ج3، ص 289

الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهوة، وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفا لحدته.[1]

هذا وقد اشتهر بعض عناصر السكان بأنواع معينة من الأطعمة فالبربر وخاصة قبائل لمثونة ومسوفة وغيرها من قبائل صنهاجة كانوا يأكلون لحوم الأغنام ويشربون ألبانها.[2]

أما اليهود من أهل غرناطة فكانوا يأكلون الفروج اليهودي والحجلة اليهودية.

ولقد كانت معظم المأكولات تهيأ داخل البيوت، وتقدم بطريقة منفردة، أي صنفا بعد صنف بدلا من وضعها كلها على المائدة دفعة واحدة، وكانت تلك هي عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجري.[3]

والملاحظ أن ربة البيت في الطبقة العامة والمتوسطة منها تقوم بإعداد الطعام بنفسها، إلا في الولائم والمناسبات فكانوا يستخدمون طباخات متخصصات لهم حوانيت في الأسواق ، وقد أمدنا السقطي محتسب مالقة بمعلومات قيمة عن بعض الأطعمة التي كانت تعد في المطابخ وتباع في الأسواق، منها المركاس أو المرقاس وكان يصنع من لحم الضأن وهريسة الشحم التي تعد من دقيق القمح ثم الإسفنج الذي يصنع من السميد والبيض والخميرة والجوز والفستق والعسل.[4]

[1] - ابن رزين: الطبيخ في المغرب والأندلس، ص132؟
[2] - نفسه، ص 121.
[3] - نفسه،ص ص 6، 85
[4] - السقطي: أداب الحسبة، المطبعة الدولية، معهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931، ص ص 35-36.

كما كانت هناك بعض الأطعمة الشعبية مثل الحشيشة والعصيدة، وكانت تصنع من لباب الخبز أو القمح المجروش وتضاف إليها اللبن والعسل والزبد والقرفة والسكر.[1]

بينما في الريف فهناك بعض المأكولات المنتشرة في البادية الأندلسية ككل، كخبز الفطير، جبنه ولبن، كما كانوا يستهلكون البصل أيام فترة الحصاد لمقاومة الحر.[2]

إن ما نستنتجه هو أن الطعام الأندلسي مزيج بين التأثيرات المشرقية والبربرية والموروث الأندلسي القوطي.

أما عن الشراب الذي كان يتناوله الناس في غرناطة فكان أشهره الخمر، ويعتبر شرب الخمر عندهم من الأشياء العادية جداً. فالخاصة يشربونه عادة في أوقات اللهو والنزاهة شأنهم في ذلك شأن الشعراء والأدباء وذلك لنسيان الهموم والهرب من الأحزان، وربما يرجع سبب انتشار هذه العادة في الأوساط الاجتماعية غنى غرناطة بالعنب كمادة أولية لصنع الخمر.[3]

كان ذوو الجاه يشربون الخمر دون تحرج أو خوف في أماكن خاصة لاسيما في مجالس اللهو والطرب[4] عكس العامة من أهل غرناطة، وبخاصة الفئة الضعيفة، حيث أن المحتسب والشرطة كثيرا ما يمسكون بعض العوام حاملين لزجاجات الخمر.[5]

---

[1] - ابن رزين: الطبيخ، ص ص ، 191، 194.
[2] - القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، د.ط بيروت، د.ت، ج2، ص 438.
[3] - إبراهيم القادري بوتشيش: أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط دولة الإسلام، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية آداب، الإسكندرية، 13، 15 أفريل 1994، ص 33.
[4] - المقري: نفح الطيب، ج4، ص ص 2، 3.
[5] - ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وكان عامة الناس لا يقدرون على شراء نبيذ العنب لأنه كان غالي الثمن فكانوا يصنعون أنواعا رخيصة يستطيعون شرائها مثل نبيذ العسل ونبيذ الذرة.[1]ويذكر المؤرخون أن النبيذ كان يشرب على مذهب أهل العراق.[2]

ومن الأشربة المشهورة التي اتخذها البربر شراب اسمه الرب[3] ويعرف باللغة الإسبانية بإسم Arrop وهو الطبيخ الخاثر من عصير العنب، معروف ومستعمل بكثرة في مراكش وله مفعول كالخمر، وكان يباع في الأسواق، إلى أن صدر نهائيا في جميع أنحاء المملكة، وهو رب السفرجل، ورب الرمان، ورب التوت.[4]

وهناك نوع آخر من الشراب اسمه أنزيز وهو حلو وله تأثير شديد كالخمر.[5]

كما أن هناك أنواع كثيرة من المشروبات تزيد عن ثلاثين نوعاً، حسب قول صاحب كتاب الطبيخ السالف الذكر.[6]

أما الأشربة التي لها علاقة بالجانب الصحي فلم يغفل عليها أهل غرناطة، فالإقبال عليها كان كبيراً، كشرب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب، وهو ينفع للتداوي من أمراض الكبد، ويقوي المعدة ويلين البطن.[7]وشراب التفاح الحلو بالماء والسكر

[1] - ابن حوقل النصيبي : أبو القاسم محمد بن علي، كتاب صورة الأرض، نشر مكتبة دار الحياة، بيروت، ص 77.
[2] - ابن عذارى: البيان، ج1، ص 154.
[3] - ابن رزين: الطبيخ، المصدر السابق، ص 255.
[4] - Allain et Déverdent : les portes anciennes de Marrakech, T 44, 1957, page 121, 123
[5] الإدريسي :محمد بن عبد العزيز الشريف الغاوري الإدريسي (وصف المغرب والأندلس» من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، تحقيق دوزي، ودي فوية، لبدن، 1866م، ص 62.
[6] - ابن رزين: الطبيخ، المصدر السابق، ص ص 221، 231، 238، 246 وما بعدها
[7] - نفسه، ص 238.

وهو مهم في علاج القلب، بالإضافة إلى شراب الثمر الهندي المطبوخ بالماء والسكر، وهو صالح ونافع لمنع الإسهال، كما أنه فاتح للشهية وغيرها.[1]

هكذا تعددت وتنوعت الأشربة في المجتمع الغرناطي.

هذا وقد أشارت نوازل العصر إلى بعض التجاوزات التي يقوم بها الخبازون أثناء تحضيرهم للخبز، مستعملين في ذلك عدة حيل، حذر ابن عبد الرؤوف منها فقال : "وينهون على خلط البارد من الخبز بالحار ويفرقون بين الطيب وغيره، ويفصلون بين الخمير والفطير ويمنعون عن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء والعسل، وبعد الطبخ بالزيت، ويمنعون عن العجن بماء الحمام، إذ لا يؤمن من أخذه من ماء لحوض، ولما عسى إن يسقط فيه ما يفسده"[2]وحرصا منه على سلامة المستهلك منع ابن عبد الرؤوف أن يجاور الخبازون أصحاب الحرف القذرة كبياع السردين، وسائر أصناف الحوت، والبياطرة والحجامين وما أشبه ذلك[3]

6 – وسائل اللهو والطرب:

لقد ساهمت الطبيعة بقسط كبير في خلق فضاءات للترفيه والنزهة، ليس فقط في غرناطة فحسب بل في كافة المدن الأندلسية.

[1] - ابن رزين ،المصدر السابق، ص ص 246، 249، 267،248 وما بعدها.
[2] ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق،ص ص73-74
[3] نفسه،ص75

لقد استغل الأندلسيون هذا الفضاء وأسسوا من خلاله فلسفة اللهو وإضفاء البشاشة والمرح على شخصيتهم.

إن الوسائل كثيرة ومختلفة في هذا المجال ولذلك سنتكلم عن بعضها والذي كان أكثر انتشارا في الوسط الغرناطي منها: الخروج إلى الحدائق العامة حيث اشتهرت غرناطة بمنتزهاتها كمنتزه حور مؤمل ،حور الوداع، عين الدمع، السبيكة، ونجد، يضاف إلى ذلك أنهارها وجناتها الخلابة.[1]

وقد وصفها أي – غرناطة – ياقوت الحموي في كتابه، معجم البلدان، قائلا : « ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس...وهي أقدم مدن كورة إلبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حداره يلقط منه الذهب الخالص وعليه أرجاء كثيرة من داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فنعم حماماتها وسقاياتها وكثير من دور الكبراء».[2]

ومن الألعاب التي كانت تمارس في غرناطة، كما أشارت إليها نازلة إلى مسابقة الخيول[3]أو ألعاب الفروسية وقد كانت منتشرة ليس في غرناطة فحسب، بل في المدن الأندلسية، ففي غرناطة عدة مساحات للمصارعة، مثل باب الرملة ، وساحة باب الطوابين في الهواء الطلق، وتقام هذه الأماكن دائرة خشبية تسمى الطبلة، ويأخذ الفرسان في قذفها

[1] مريم قاسم الطويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ص ص 35، 38

[2] - ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، دار صادر، بيروت، ط1، ط2، لوين، ج4، د.ت.، ص 195

[3] ابن رشد: المصدر السابق،ج1،ص ص474-475

برماحهم أثناء الركض بالخيول[1]، ويبدو أن هذه اللعبة كان يتخللها رهان بين الحاضرين، فقد سئل ابن رشد فيما يجوز من الرهان في المسابقة بين الخيل مما لا يجوز[2].

كما انتشرت لعبة الشطرنج في المجتمع الأندلسي ككل حيث شغفت لها الطبقة الخاصة،خاصة في عصور الطوائف، وبسبب ما تجره هذه اللعبة على الإنسان من كسل وتصرفه عن العمل، فقد نهى ابن عبدون عن لعبها، لأنها من المحرمات وتشغل عن الصلاة[3]، ومن الألعاب الأخرى يذكر لعبة خيال الظل والتي تسمى(القلياني)وربما كان القلياني لاعبا مشهورا عندهم، وقد وصف الزجال لباسه المهلهل الممزق، يدل على ان تلك اللعبة كانت تعتمد في الأندلس كافة، كما هي في المشرق على الهزل وإضحاك المشاهدين[4].

هكذا كان حال أهل غرناطة في أوقات راحتهم، حيث يقضون ساعات متتالية بين ظلال وارفة ومياه جارية وخضرة متصلة وطيور مغردة ومناظر الرياحين والأزهار.

- مجالس اللهو والطرب والشراب:

تمثل الموسيقى والغناء عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف، وكان النخاسون يقومون بتعليم الجواري الغناء ليكسبوا في بيعهن الأموال الوفيرة فاقتنى أمراء الطوائف منهن المغنيات المشهورات وأقبل أهل الأندلس من مختلف طبقاتهم على الفن

[1] أحمد مختار العبادي: الأعياد في غرناطة، مدريد:مجلة معهد الدراسات الإسلامية،1970،مج15،ص141
[2] ابن رشد، المصدر السابق،ج1، ص ص 474-475
[3] ابن عبدون، المصدر السايق،ص53
[4] عبد العزيز الأهواني:على هامش ديوان ابن قزمان،مدريد،مجلة معهد الدراسات الإسلامية،مج19، 1976-1978،ص55

الغنائي، حتى أن الفقهاء كانوا يستحسنونه وأصبحت الموسيقى العربية ذات أثر في أذواق غير العرب في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا.[1]

وكان أهل غرناطة كغيرهم من شعوب الأندلس يعشقون الموسيقى ويميلون إليها، يقول ابن الخطيب : «والغناء في مدينتهم فشى حتى في الدكاكين ضائعها كثيرا من الأحداث كالخفافين ومثلهم».[2]

هذا وقد برع أهل الأندلس في العزف على كثير من الآلات الموسيقية وعلى الأخص القيتارة والدف والمزمار والطبلة والعود بالإضافة إلى الآلات الوترية وهي كلها جوفاء والربط والرباب والقانون، ويذكر ليفي بروفنسال أن الفرقة الموسيقية تتكون من المغني تصاحبه فرقة قبلها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجاة، فيبدأ المغني بالغناء ثم يردد الحاضرون وراءه بعض المقاطع.[3]

ومن أشهر الموسيقيين في غرناطة أبو الحسن علي بن الحمارة، وهو ممن برعوا في علم الألحان وعلمها واشتهر عنه أنه كان يعمد للشعراء فيقطع العود بيده يصنع منه صودا للغناء وينظم الشعر ويكتبه ويغني به».[4]

[1] - مريم القاسم الطويل: المرجع السابق، ص 256.
[2] - ابن الخطيب : الإحاطة، ص 143.
[3] - ليفي بروفنسال: محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها، ص 24"
[4] - المقري: نفخ الطيب، ج4، ص 140.

ففي هذه المجالس يتم تناول بعض المأكولات التي خصصت لهذه الغاية وتكون ممزوجة برقصات على أنغام المزامير والدفوف، وعادة تصحب هذه الجلسات بكؤوس الخمر والنبيذ.[1]

– **الإقبال على الصيد:** استخدم الأمراء والخاصة من الناس الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون في نزهات لصيد طير الباز، وكان الباز الذي هو نوع من الصقور يتوفر عند البعض فقط، الذين يقومون بتربيته وتدريبه والعناية بشأنه وكان معياراً من المعايير الاجتماعية، فمن يملكه له منزلة واحترام من المجتمع[2] وأعظم الجوارح على الإطلاق هم الشواهين، البزاة، الزرق، الصقور، الشذنفات، كما كان يستعمل في الصيد الكلاب المدربة مثل كلاب السلوق المعروفة في هذا المجال .

والتي نالت شهرة في تميزها في نوع القطيع كله، وهناك أنواع أخرى من الصيد، كصيد الغرانيق جمع غرنوق وهو طائر مائي ولع الناس بصيده حتى في أيام الشتاء.[3]

وقد صور الشاعر عبد الله بن الشمر ذلك حيث يقول:

ليت شعري أمن جديد خلقنا   أم نحتنا من صخرة صماء

كل عام في الصيف نحن غزاة   والغرانيق عزوف في الشتاء[4]

[1] - السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي، ص 64.
[2] - حسن أحمد النوش: المرجع السابق، ص 326.
[3] - عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة وعصر دويلات الطوائف، من خلال النقوش المحفورة في علب العاج، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 19، 1976، 1978، ص 14.
[4] - ابن سعيد المغربي: المصر السابق،ج1،ص ص125-126

كما قاموا بصيد الأسماك والحيتان من خلال نزهاتهم النهرية والبحرية[1]، فساهمت مرتفعات مالقة في تهافت أهلها على عملية الصيد، خاصة الحيوانات والطيور والغزلان والأرانب البرية[2]

7 – الحمامات:

يعتبر الاستحمام من العادات المتأصلة في المجتمع الأندلسي ككل، وقد أكده المقري في نفحه قائلا: « وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده قوت يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل ثيابه.[3]

والحمام في الأصل يستعمل لحفظ الصحة واستعمال الزينة، إلا أنه يعد مركزا للاجتماعات ومجالس الأنس واللهو والغناء، ولم يكن حكراً على الرجال، بل أن النساء يجدن في الذهاب إليه فرصة للفضفضة النفسية، وتغيير الجو والتمتع بحرية نسبية، حيث يحطمن فيه أغلال التقاليد.[4]ويؤكد أمريكو كاسترو على أن الحمامات كانت مباحة للجميع، فالنساء كن أنظف مما كن عليه أيام الاستحمام في الأنهار والمنازل[5].

---

[1]- حسن أحمد النوش:المرجع السابق،ص329
[2] -الحميري: المصدر السابق،ص ص177-178
[3] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 214.
[4] - السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 209
[5] أمريكو كاسترو: حضارة الإسلام في إسبانيا، ترجمة سليمان العطار، دار الثقافة النشر والتوزيع،د.ط،حلب1983،ص48

وباعتبار الحمام موضع طهارة فقد ولي عناية كبيرة من طرف المحتسب[1] فصهاريجه كانت مغطاة وبعيدة عن مواطن النجاسة، وكان الحمام يتألف بوجه عام من مدخل يؤدي إلى غرف متباينة الوظائف، كل غرفة متصلة بالغرفة التي تليها، بالإضافة إلى ملحقات كالموقد والمرحاض، ويتنهي الحمام بالبيت الساخن الذي يحتوي على أحواض تصب فيها صنابير المياه الساخنة والباردة.[2]

وفي الحمام وظائف متعددة تقوم بها فئات كثيرة كل حسب تخصصه، فهناك الحكاك والحجام والسقاءون الذين يحملون الماء على ظهورهم من السقايات إلى الحمامات، ولم تكن هذه المهن حكراً على المسلمين بل مارسها أهل الذمة من يهود ونصارى.[3]

8 – مظاهر الفساد والانحلال الخلقي:

لا شك أن حياة الترف والبذخ التي عاشتها الأندلس صاحبها فساد في الأخلاق وهو ما يبينه ابن خلدون في حديثه عن فساد الحضارة فيقول:"ومن فساد الحضارة أيضا الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكل والملاذ والمشارب وطيبها، ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط."[4]

[1] - ابن عبدون : المصدر السابق، ص 48.
[2] - السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلسي، ص 212.
[3] - بن عبدون : المصدر السابق، نفس الصفحة ، السيد عبد العزيز سالم: نفسه، ص 213.
[4] ابن خلدون:المقدمة،ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة،ناشرون2005م،ص387

ويرى المؤرخ المغربي إبراهيم القادري بوتشيش أن الأزمة الأخلاقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس في نهاية المطاف[1].

نستنتج من هنا أن ظاهرة الفساد هي ظاهرة عامة، لم تقتصر على إقليم دون الأقاليم الأخرى، بل شملت مدن الأندلس ككل، والذي كان نتاجا لإفرازات النظام السياسي للطوائف الذي يشجع في بعض الأحيان هذه الظواهر، فكيف لا تكون كذلك وملوك الطوائف عامة كانوا من أصحاب اللذة والتباهي والتبذير والإسراف والانعزال عن المجتمع.

لذلك ألحَ ابن خلدون في مقدمته إلى ضرورة التمسك بالأخلاق في مسألة البناء الاجتماعي باعتبارها تحقق الديمومة والاستمرارية للمجتمع.

فإذا خرج المجتمع من ضوابطه فهي بداية نحو الفساد والسقوط والفوضى الاجتماعية[2] وهذا ما حدث بالفعل رغم البناء الاجتماعي الكبير إلا أنه حاد عن ضوابطه الأخلاقية، فحدث الانفصال بين السنن الاجتماعية والأخلاقية والأحكام الشرعية الضابطة فانتشرت بذلك مظاهر سيئة ميزت المجتمع الأندلسي عامة والغرناطي خاصة في عصر الطوائف، ومن بين هذه المظاهر السلبية ما يلي:

– **ظاهرة البغاء:** البغاء عنصر من عناصر الفساد الذي انتشر بشكل واسع في أغلب المدن الأندلسية بدليل أن كتب الحسبة أشارت إلى هذه الظاهرة الخلقية الرذيلة مستنكرة بشدة هذا الانحلال الخلقي. وذلك أن بعض النسوة كن يحترفن البغاء ويطلق عليهن الخرَاجيَات أو

[1] بوتشيش : الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس(إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي،ص158)
[2] - ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1967، ص 299.

نساء دور الخرَاج، وكن ذوات سمعة سيئة.يقفن خارج الفندق بكامل زينتهن المبالغ فيها متبرجات كاشفات عن شعورهن لإغراء الرجال وتحريض النساء أيضا.[1]ونوع آخر من المومسات كان بالإمكان استدعاءهن إلى المنازل بدل الذهاب إلى أماكنهن.[2]ويصف ابن قزمان إحدى هذه الأماكن بقوله[3]:

زهرم مريم عيش　　أيتكم اهتزوا

ولؤلؤ قحبيش　　بالذي يهديكم

ونتج عن انتشار هذه الظاهرة انتشار أولاد الزنا في المجتمع الغرناطي وسائر بلاد الأندلس ككل.

بالإضافة إلى معاكسة النساء في الشوارع من طرف بعض الشباب الطائش خاصة في أماكن تتجمع فيه النساء أكثر كحي العطارين تعتاد إليه النسوة لاقتناء حاجياتهن من عطور وزيوت وصابون[4] وفي أيام الأعياد والمناسبات التي تستفحل فيها الظاهرة.

حيث ينهى المحتسب ألا يترك الشباب أيام العيد يجلسون في الطرقات لمعاكسة النساء ومراودتهن خاصة أثناء زيارة القبور وفي الأماكن المزدحمة.[5]

---

[1] محمد الأمين بلغيث:مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عصر المرابطين،479هـ/1086م-539هـ/1145م،(دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي)، الجزائر، دار التنوير،2006م،ص63
[2] بوتشيش:مباحث في التاريخ الحضاري،ص193
[3] عبد العزيز الأهواني: المرجع السابق، ص138
[4] - ابن حزم : طوق الحمامة، ص ص، 22، 23.
[5] - ابن عبدون : المصدر السابق،ص 35

وهناك فئة من المخنثين يطلق عليهم «القطماء» ومفرده القطيم، يقومون بتقليد النساء في ملابسهن وهي منتشرة في المدن الأندلسية، ويورد ابن سعيد قصة مفادها أن أحد القطماء يترك بابه مفتوحا حتى إذا دخل لص مسكه وطلب منه ممارسة الفاحشة عليه مقابل إطلاق سراحه.[1]

- ظاهرة شرب الخمر:

أشارت نوازل العصر إلى انتشار ظاهرة شرب الخمر، فقد سئل ابن رشد عن نكاح السكران وطلاقه فأفتى أن طلاقه جائز عليه،ونكاحه غير جائز[2]، ولعل استفحال وانتشار هذه الظاهرة هو الذي أدى بالسائل إلى أن يستفتي ابن رشد، وهو ما تؤكده رسالة بعث بها الفتح بن خاقان إلى أحد القضاة يناشده الحد من الخمر، فقال:"والذين قد عظم غصصه بالباطل وشرقه والراح قد استحل حرامها واستهل مرامها، وغدت في كل منزل قوتا، وبدت كؤوسها دار يحمل ياقوتا[3] .

وقد يرجع ذلك –حسب ما توصلت إليه معلوماتي– إلى طبيعة المنطقة أولا، حيث اشتهرت غرناطة بالعنب وهذا ما ساعد على انتشار العادة في الأوساط الاجتماعية[4] ونوع التركيبة البشرية المتنوعة من بربر وعرب ويهود ونصارى من جهة ثانية، والتسامح الديني من جهة ثالثة.

---

[1] - ابن سعيد : المصدر السابق، ج1، ص 177.
[2] - ابن رشد : المصدر السابق،ج2،ص913
[3] - محمد مكي:وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين(مدريد: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية)1959-1960،ص189
[4] - ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 33

وهناك أسباب أخرى أفادتني بها كتب النوازل منها أن رجلا كان يتعلم مع ابن حمدين وابن رشد، لكنه لم يوفق مثلهما، فانحرف إلى شرب الخمر، فرفعته العامة إلى ابن حمدين فلما سأله عن سبب شربه أجابه:"يا أخي فساد الزمان، ومجافاة الإخوان، ومعاداة الهوام، هذا شأني"،فعفا عنه وأعادوه مرة فعفا عنه، فما رأى العامة هذا اتفقوا أن يقطعوا مادته، فهدموا أملاكه.[1]وفي هذه النازلة دليل على محاربة أهل الأندلس لهذه الظاهرة.

ورغم محاربة القضاة والفقهاء لهذه الظاهرة إلا أن ذلك لم يمنع وجودها في كافة مدن الأندلس لا سيما الطبقة الخاصة من أهل غرناطة وغيرها من المدن الأندلسية،وجدوا بين أيديهم مالا ووقتا فارغا وبطالة، لا يبالون بغير اللذة واللهو، والعكوف على الشراب وإحياء الليالي بالغناء والرقص والبحث عن العشق.[2]

[1] البرزالي:المصدر السابق،ج6،ص128، الونشريسي، المعيار، ج2،ص410
[2] - دندش: الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين،ص279

الخاتمـــة

الخاتمة:

بعد أن تطرقت للحياة الاجتماعية في غرناطة في عهد بني زيري ،وبيان مكونات المجتمع فيه،ومظاهر الحياة السائدة في ذلك الوقت ، يمكنني أن أستعرض بعض النتائج التي ميزت المجتمع الغرناطي في عهد بني زيري الصنهاجي، وهي كالآتي:

1. رغم الاختلاف في العناصر المكونة للمجتمع الغرناطي، فإنه من الصعب التمييز بين أفراده وقد ينحصر السبب في اللغة العربية التي صارت بمرور الزمن اللغة التي بها يتكلمون ويكتبون ويفكرون، وقد كان للغة القرآن الكريم الدور البارز في ذلك.
2. التعايش والتسامح الديني بين أفراد المجتمع الغرناطي، فدولة بني زيري لم تفرض على أهل الذمة عقيدة الإسلام بل تركت لهم حرية الاعتقاد ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ كما هناك أعياد دينية مسيحية كانت أم يهودية فالمسلم شارك إخوانه في هذه المناسبات والاحتفالات.
3. ظاهرة الزواج بين هذه العناصر، فالمسلم تزوج بالإسبانية والإسباني تزوج بالمسلمة، تكون لديهم عنصر عرف بالمولدون أو المسالمة.
4. الحياة الاجتماعية المشتركة بين فئات المجتمع الغرناطي، كالزي الغرناطي المميز كاللباس، واستخدام العمائم الخاصة ببعض الفئات، وتفضيلهم للون اللباس وغيرها، كما اشتهرت ملابسهم بالنوع الرفيع المصنوع من الحرير ، والملاحظ أن أهل غرناطة كانوا يعتنون أكثر بنظافة البدن والثياب معاً.

كما تفنن سكان إقليم غرناطة في صنع كثير من ألوان الطعام المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغرناطية التي كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة من جهة، ونوعية الأطعمة التي جاءت بها عناصر دخيلة على بلاد الأندلس من جهة أخرى، فتنوعت بذلك الأكلات وامتزجت بين ما هو محلي بالإفريقي والشرق (الأسيوي) وغيرها من العناصر الأخرى.

أما ما يتعلق بالموسيقى واللهو والطرب فهي الأخرى كانت حاضرة بقوة في مملكة غرناطة خاصة والأندلس عامة، فالموسيقى والغناء يمثلان عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف، فكان أهل غرناطة كغيرهم من شعوب الأندلس يعشقونها ويميلون إليها، الأمر الذي جعلهم ينحرفون عن الجادة ويميلون إلى شرب الخمر التي كانت متناثرة بين جميع فئات المجتمع، أضف إلى ذلك الانحلال الاجتماعي الذي سرى في المجتمع الأندلسي وأدى في النهاية إلى ضياع الأندلس الإسلامية.

هذا وقد امتازت غرناطة – شأنها شأن باقي المدن الأندلسية – بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة، أما عن نظام المنزل فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامي ذي الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدي بابه إلى دهليز يتناسب مع حجم المنزل ويقضي هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذي تلتف حوله الغرف.

وإلى جانب الدور والمنازل التي سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة التي حضيت بها غرناطة.

أمـا المتنزهـات فقد انتشـرت فـي غرناطـة وأقاليمهـا المتنزهـات والحـدائق التـي اتخـذها الناس مكانا للنزهة وللترويح عن النفس.

هذا ويعتبر المسجد من أهم العمائر في المدن الإسلامية، لذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية من أهم المعالم الإسلامية.

وبنـاء علـى مـا تقدم يمكن القول بأنـه رغم مـا حـل بمملكـة غرناطـة فـي عهد ملـوك الطوائف، وسائر مدن الأندلس من اضطراب في أحوالهم السياسية والعسكرية، إلا أن الحياة الاجتماعية عرفت تطوراً وتقدماً واستمرارية وقدرا عظيما من التحضر والتمدن والرقي الفكري، وكـانوا بوضـعهم ذلـك يمثلـون شمسـا مشـرقة سـطعت فأنـارت للشـعوب المتخلفـة فـي أوروبـا طريق الحضارة والمدينة... .

الملاحـق والخرائـــط

الملحق رقم :01

شجرة نسب بني زيري

ملوك غرناطة

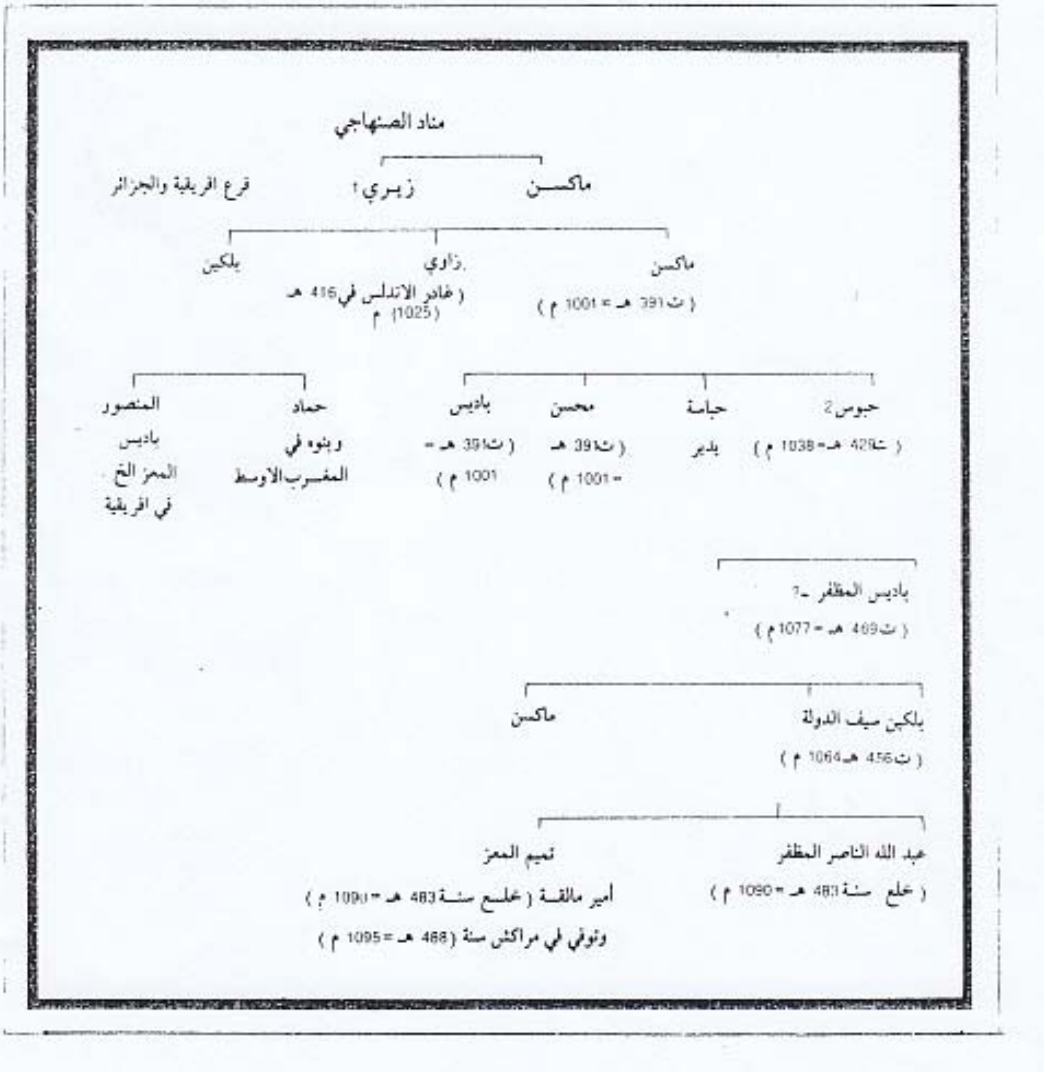

المرجع:إسماعيل العربي: دولة بني زيري،ص195

الملحق رقم:02

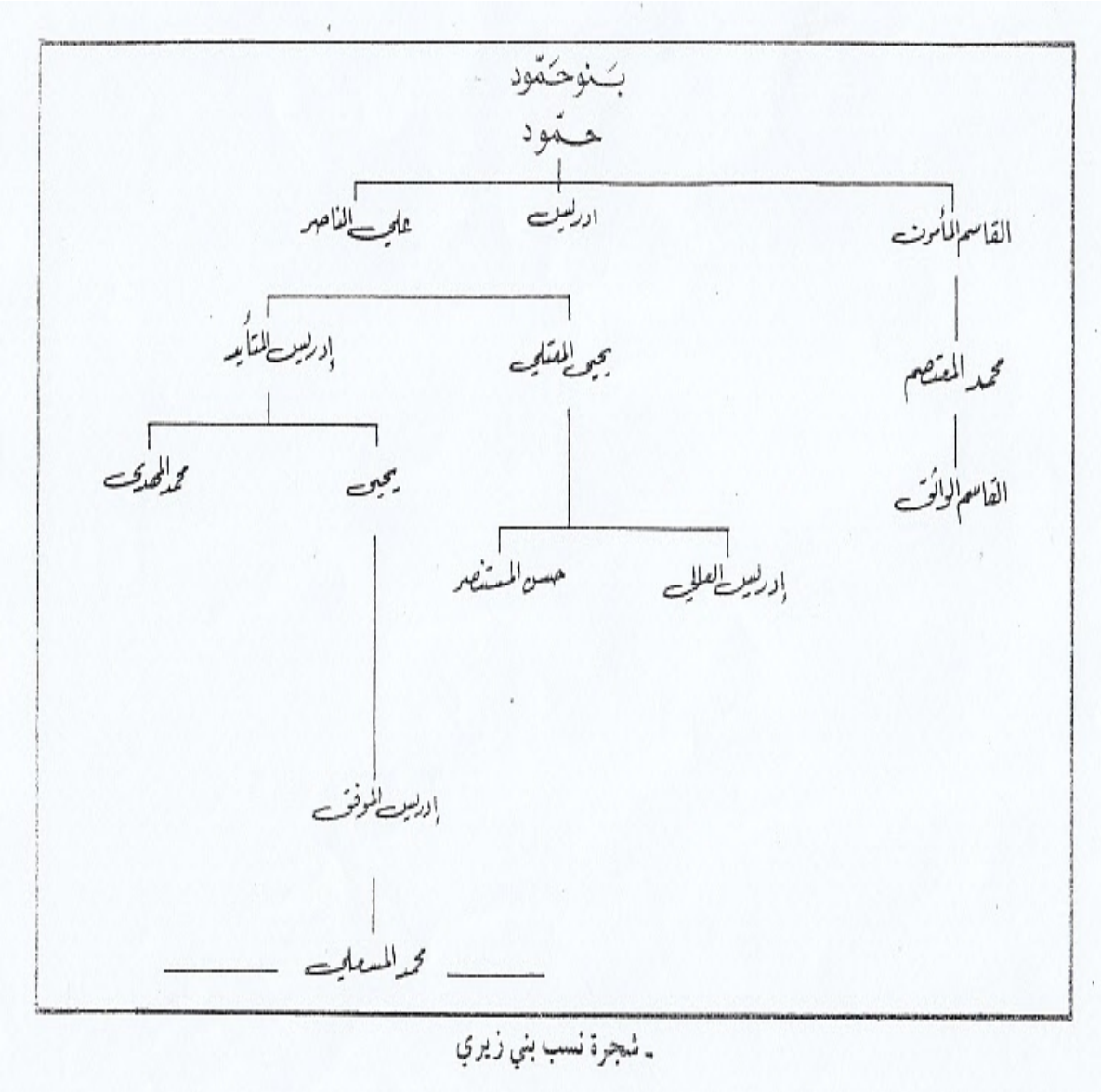

ـ شجرة نسب بني زيري

المرجع: إسماعيل العربي:نفسه ص201

الملحق رقم :03

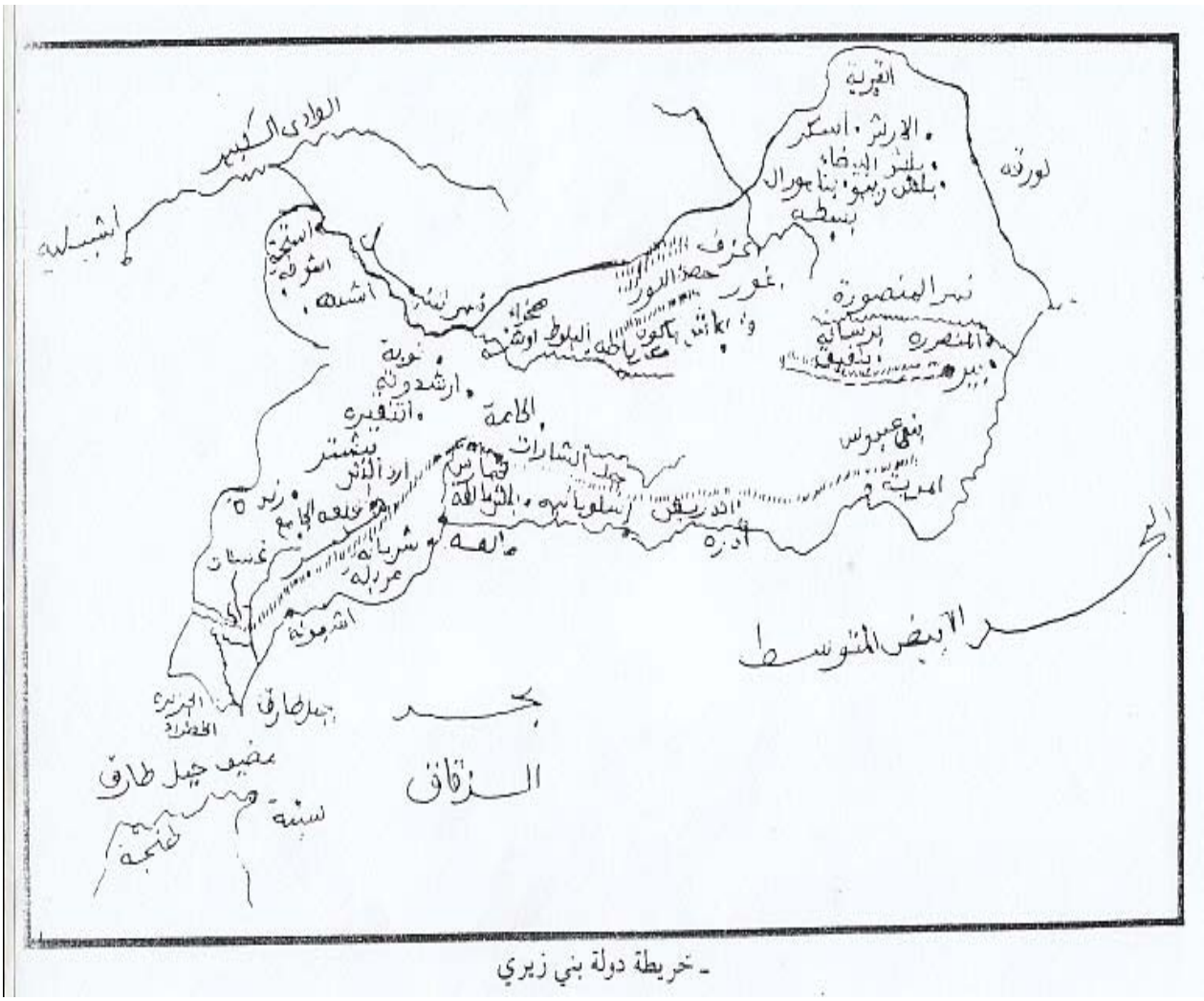

ـ خريطة دولة بني زيري

المرجع:إسماعيل العربي:نفسه ص199

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ) المصادر

1) الإدريسي (محمد عبد العزيز الشريف)، وصف المغرب والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في أخبار الآفاق. تحقيق، ر.دوزي، ودي فويه، لندن، 1866م.

2) ابن أبي زرع (أبو الحسن علي عبد الله الفاسي)، ت، 726هـ/1325م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور للطباعة والوراقة1979م.

3) ابن بسام(أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق4 ، م1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1364هـ/1945م.

4) ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الله)، تـ 578هـ/1183م، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س، كولان، دار الثقافة، ط2،ج3، بيروت، 1980م.

5) ابن بلقين(الأمير عبد الله)، مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين بن حبوس الصنهاجي، ت، 483هـ/1090م، التبيان نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف المصرية ،مصر1955.

6) البكري (أبي عبيد)، جغرافيا الأندلس وأوروبا، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1383هـ/ 1968م.

7)البرزالي (أبو القاسم أحمد المعتل البلوي) ت، 841هـ/1438م، جامع مسائل الأحلام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الأمين الهيلة، بيروت دار المغرب الإسلامي، 2002م.

8) البلاذي (أبو الحسن)، ت،302هـ/914م، فتوح البلدان تعليق محمد رضوان، دار الكتاب العلمية، د.ط، بيروت،1978م.

9) ابن حزم(محمد بن علي بن أحمد بن سعيد) ت، 456هـ/1064م، رسائل بن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط،1980م.

10) ابن حزم(محمد بن علي بن أحمد بن سعيد) ت، 456هـ/1064م، جمهرة أنساب العرب، دار الكتاب العلمية، ط1،بيروت، 1403هـ/1983م

11) ابن حزم(محمد بن علي بن أحمد بن سعيد) ت، 456هـ/1064م، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، دار العروبة، القاهرة، 1960م.

12) ابن حزم(محمد بن علي بن أحمد بن سعيد) ت، 456هـ/1064م، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق محمد يوسف الشيخ وغريد يوسف الشيخ، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 2004م.

13) ابن حوقل النص (أبو القاسم محمد بن علي) ت، 380هـ/990م كتاب صورة الأرض، نشر مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.ط.

14) ابن الحاج الشهيد(محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي) ت، 529 هـ/1135م، نوازل بن الحاج الشهيد، رصيد الخزانة العامة بالرباط، رقم ج55(نسخة الدكتور أمين عبد الغيث).

15) الحميدي (أبو عبيد الله)،ت، 488هـ/1095م، حذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبيار، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ط2، القاهرة، بيروت، 1973م.

16) الحميري (محمد عبد المنعم)ت، 727هـ/1326م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، ط1، بيروت1975م، ط2، 1984م.

17) الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله) ت،626هـ/1229م، معجم البلدان، قام بتصحيحه وترتيبه محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، ط1، مصر، مجلد5،6،1960م.

18) ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد)، قلائد العقيان في محاسن الاعيان، مصورة عن طبعة باريس، قدم له ووضع فهارسه، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس،1966م.

19) ابن الخطيب (لسان الدين)، الإطاحة في تعريفه أخبار غرناطة تحقيق محمد بن عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.

20)ابن الخطيب(لسان الدين)، تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت، ط2، 1996م.

21)ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن)ت، 808هـ/1405م، المقدمة دار الكتاب اللبناني، ط3،بيروت،1967م.

22) ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت،1968م.

23) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان، تحقيق وتعليق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر، 1948م.

24) ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي) ت، 520هـ/1126م، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن طهر التليلي، دار المغرب الإسلامي ط1، بيروت، 1987م.

25) الزجالي (أبو عبيد الله بن محمد القرطبي) ت.694هـ/1294م، أمثال العوام في الأندلس، مستخرجة من ريد الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، القاهرة ،د.ط،1973م.

26) الزهري (ابن عبد الله محمد بن أبي بكر) ت، أوساط ق 6هـ، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق،د.ط، بيروت،1968م.

27) السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي) عاش في أواخر القرن 6، وأوائل الفرن 7، ف آداب الحسبة، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية، د.ط،باريس، 1931م

28) ابن سهل (عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله ألأسدي الجياني)، الأعلام بنوازل الأحكام (المعروف بالأحكام الكبرى)، ت،486هـ تحقيق المحامي رشيد النعيمي، ط1،شركة الصفحات الذهبية المحددة،1417هـ/1997م.

29) ابن سهل (عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي الجيابي)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام،1980م.

30) ابن سهل (عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني)، وثائق في أحكام القضاء الجنائي مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام،1980م.

31) ابن سهل (عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني)، وثائق في شؤون العراق في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، 1983م.

32) ابن سهل (عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني)، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام 1981م.

33) الشعبي (أبو مطرف عبد الرحمن بن القاسم)،ت، 497هـ/1104م، الأحكام، تحقيق صادق الخلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1992م.

35) ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله)، ت، 442هـ/1005م، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار بن حزم، ط1، بيروت،2005م.

36) ابن عبدون الاشبيلي، رسالة ابن عبدون، نشر ليفي بروفنسال،1934م،
Le journal Asiatique

37) ابن عذاري المراكشي(أبو عبد الله محمد) ت،695هـ/1295م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س، كولان، دار الثقافة،ط2، بيروت 1980م، ط3، 1983م، الجزء الثالث.

38) ابن عبد البر (جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي) ت.د، عبد الرحمان بدوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ش.م.م.

39) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله).ت.257هـ/870م، فتوح افريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، د.ط، بيروت، 1964م.

40) عبد الواحد المراكشي (أبو علي بن محمد التميمي).ت، 647هـ/1249م، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زنهم، ومحمد عذب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1994م.

41) أبو عبد الله ابن الحاج الشهيد، نوازل ابن الحاج، رصيدهم الخزانة العامة بالرباط، رقم ج،55، ورقة 90، 91.

42) ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين).ت، 799هـ/1397م، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1996م.

43) القاضي عياض (أبو الفضل العصبي السبتي) ت، 544هـ/1149م، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، د.ت.

44) ابن القوطية (أبو بكر) ت، 367هـ/977م، تاريخ افتتاح الأندلس، تقديم عبد الله أنيس الطباع، د.ط، بيروت،1957م،

45) ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك بن قاسم)– ت، 575هـ/1179م ، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، د. ط، مدريد، 1971م.

46) الكناي (أبو القاسم بن علي بن سلمون)، العقد النظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، رقم 1366 ورقة 66.

47) المقري (أحمد بن محمد التلمساني) ت، 1041هـ/1631م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968م.

48) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت،1981م.

49) مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة،ط1، الرباط الرشاد الحديثة،1979م.

50) ابن رزين : الطبيخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، تحقيق أمبروزيو أو بني ميراندا، تقديم حسين مؤنس، مدريد، 1955م.

51) النويري(أحمد بن عبد الوهاب) ت، 732هـ/ 1332م، تاريخ المغرب الإسلاميفي العصر الوسيط، من كتاب نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، .ط، الدار البيضاء، 1984م.

52) النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، د.ت.

53) الونشريسي (أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي)ت،914هـ/1508م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي،ط2،بيروت، دار الغرب الإسلامي،1980م.

ب) المراجع :

54) أرزقي (محمد فراد)، القوى المغربية في الأندلس خلال عصر ملوك الطواف، ديوان المطبوعات الجامعية، د.طن الجزائر،1983م.

55) أرسلان (شكيب)، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا، إيطاليا وجزر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1973م.

56) أشباخ (يوسف) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، ط2، القاهرة،1958م.

57) الأهواني (عبد العزيز)، على هامش ديوان بن قزمان، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1976م،المجلد التاسع عشر.

58) بروكلمان(كارل)، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين ، ط6، بيروت، 1976م.

59) بنمليح (عبد الله)، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1،بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2004م.

60) بوتشيش(إبراهيم القادري)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،ط1،بيروت دار الطليعة، 1998م.

61) بيضون (إبراهيم)، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، 92هـ-422هـ/711-1031م، دار النهضة العربية،ط2، بيروت 1980م.

62) أبو خليل(شوقي)، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين،دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1980م.

63) بروفنسال (ليفي)، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، د.ط، بيروت، د.ت.

64) بلغيث (محمد الأمين)، مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عصر المرابطين،479هـ/1086م،539هـ/ 1145م، (دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي)، الجزائر دار التنوير، 2006م.

65) التنسي (أبو عبد الله)، تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان ،تحقيق عبد الحميد، حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984م.

66) بن عامر(أحمد)، الدولة الصنهاجية، صفحة من العصر الذهبي للحضارة التونسية، د.ط، سوسة 1970م.

67) الحجي (عبد الرحمن)، التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط2، 1981م،ط3،1987م.

68) حسين (حمدي عبد المنعم)، دراسات في التاريخ الإسلامي دولة بني برزال في قرمونة، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية، 1990م.

69) حسين (حمدي عبد المنعم)، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة، د.طن القاهرة،1997م.

70) خالص (صلاح)، أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1965م.

71) دياب (حامد الشافعي)ن الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998م.

72) سالم السيد (عبد العزيز) ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1998م.

73) سالم السيد (عبد العزيز)ن تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط2، مصر، 1986م.

74) سالم السيد (عبد العزيز)، الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، دراسة سياسية أدبية اجتماعية،(الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى)، ط2، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995م.

75) شابندلين (ريموند)،: اليهود في الأندلس الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2ن بيروت، 1999م

76) الشرقي (منير بنت عبد الرحمن)، علماء الأندلس في القرنين 4،5 الهجريين، دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية، كلية الآداب، الرياض 1423هـ/2002م.

77) ضيف (شوقي)، عصر الدولة والإمارات بالأندلس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994م.

78) طقوش (محمد سهيل) تاريخ المسلمين في الأندلس91-897هـ/710/1492م، كلية الدراسات الإسلامية، ط2، 2008م.

79) طويل (مريم قاسم)، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1994م.

80) طويل (مريم قاسم)، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح،443-484هـ/1051-1091م، مكتبة الوحدة العربية، ط1، الدار البيضاء، 1994م.

81) العبادي (أحمد مختار)، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، د.ط بيروت1972م.

82) عباس(إحسان)، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة،ط1،بيروت،1962م.

83) عبد الله (نافع)، الأعياد والمهرجانات في الشعر الأندلسي، دار الوسام ، ط1، الشارقة، 2003م.

84) عبد الرحيم(رجب محمد)، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف.

85) عبد الوهاب (محمد خلاف)، قرطبة الإسلامية في القرن5هـ/11م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، د.ط،تونس،1984م.

86) عنان(محمد عبد الله)، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م،ط3، القاهرة 1988م.

87) عنان (محمد عبد الله)، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، ط2،القاهرة 1997م.

88) العربي إسماعيل: دولة بني زيري، ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982م،

89(غيشار(بيار)، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا والمسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، من بداية ق 8 إلى بداية ق13م، ترجمة مصطفى الرقي، الحضارة العربية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوش، ط2، بيروت، 1999م.

90) كاسترو (أمريكو)، حضارة الإسلام في اسبانيا، ترجمة سليمان العطار، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط،حلب، 1983م.

91) فرحات (يوسف)، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأندلسي،دار كلمات النشر، شركة بروفيشيال، برينشينغ، برودكشن ، د.ط ،ج 6 ، 1995م.

92) قلاتي (عبد القادر) الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط ، دار الأصالة، ط1 بئر توتة، الجزائر.

93) مسعد (سامية مصطفى)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484إلى 620هـ/1092–1223م، مكتبة الثقافة الدينية،ط1، القاهرة، 2003م.

94) مسعد (سامية مصطفى)، التكوين العنصري للشعب الأندلسي و أثاره على سقوط الأندلس ، 93هـ/422م ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007م.

95) مؤنس (حسن) فجر الإسلام، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،2002م.

96) أبو مصطفى(كمال السيد)، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، 92-495هـ/741-1102م، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب د،ط ،الإسكندرية، د.ت.

97) النوش (حسن أحمد)، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، ط1، بيروت 1992م.

98) نعنعي (عبد المجيد)، الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1986م

99) النيفر (أحميدة)، القضاء والحراك الاجتماعي، قراءة في فتاوى الونشريسي، ملتقى الفكر الشبكة العنكبوتية.

100) وزنيز(ديفد)، فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية،ط2، بيروت 1999م.

ج) المجلات والندوات:

101) بوتشيش (إبراهيم القادري)، أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط دولة الإسلام، بحوث ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ، كلية الآداب الإسكندرية، 13-15 أفريل 1994م.

102) أبو زيد (سهام)، تاريخ الصقالبة في مصر الإسلامية، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد التاسع،1991م.

103) سالم (السيد عبد العزيز)، صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة وعصر دويلات الطوائف، من خلال النقوش المحضورة في علب العاج، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد19، 1976م.

104) سالم (السيد عبد العزيز)، ملابس الرجال في العصر الإسلامي، ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ، كلية الآداب، الإسكندرية، أفريل، 1994م.

105) ألعبادي(أحمد مختار)، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة التعليم العالي،مدريد، 1970م.

106) ألعبادي(أحمد مختار)، صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج26، منشورات المعهد المصري، مدريد، 1993م.

107) ألعبادي(أحمد مختار) المسلمون في أرض الأندلس، مجلة المختار من عالم الفكر، ع1، الكويت، 1984م.

108) دندش (عصمت عبد اللطيف)، أدوات سياسية للنساء في دولة المرابطين(بحوث الملتقى الاسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية)، غرناطة، 10 نوفمبر 1984م.

د) الرسائل والأطروحات الجامعية:

109) بوباية (عبد القادر)، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلاد، 300-422هـ/ 912-1031م، رسالة دكتورا دولة في التاريخ الإسلامي، وهران،2001-2002م

110)بولعراس (خميس)، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086م)، مذكرو لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، السنة الجامعية 2006-2007م.

111) البشري (سعد عبد الله)، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس 422-488هـ/1030-1095م رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي لسنة 1985-1986م.

112) دويدار(حسين يوسف)، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي138-422/755-1030م،مطبعة الحسين الإسلامي، الجامع الأزهر،ط1، 1994م .

113) شارف (أحمد)، السلطة والمجتمع بالأندلس في عصر المرابطين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف إبراهيم بحاز بكير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م.

المراجع الأجنبية :

114/ H.Terrasse : Les forteresses de L'Espagne musulmane ,Madrid ,1954 p03

115/Allain et Déverdent : Les portes ancienne de Marrakech, T.44.1957.p121.123.

116/ Levi Provencal :L'Espagne musulmane , p35.

117 Levi Provencal : Le journal asiatique, 1994.p.26.

118/ Simonet : Histoire de les mozarabes de espagna, Madrid.1897.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة..... 02

الفصل الأول: دولة بني زيري في غرناطة..... 16

* بنوزيري الصنهاجيون في غرناطة 23

أولا:غرناطة في عهد زاوي بن زيري بن مناد(403-410هـ/1012-1019م) 24

أ/ مشاركة الزاوي في خلع سليمان المستعين وتعيين علي بن حمود مكانه عام،

407هـ/1016م..... 26

ب/ انتصار زاوي على المرتضى بظاهر غرناطة (409هـ/1018م)..... 26

ثانيا: غرناطة في عهد حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد

(410-429هـ/1019-1037م) 27

* توليه السلطة..... 27

ثالثا: غرناطة في عهد باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد

(429-465هـ/1037-1073م) 30

* توليه السلطة..... 30

رابعا: غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن

مناد467-483هـ/1074-1090م)..... 33

* توليه السلطة..... 33

* مشاكل غرناطة في عهد الأمير عبد الله الداخلية والخارجية 34

1- مشاكل غرناطة الداخلية في عهد عبد الله بن بلقين..... 34

أ-عزل الوزير سماحة..... 34

ب- عبد الرحمن ينهي تمرد ابن تاقنوت بغرناطة وجريشة 34

ج- كباب وتمرده على الأمير عبد الله بن بلقين 35

د- عبد الله وثورته ضد ابن ميمون اليهودي بمدينة اليسانة 36

هـ - عبد الله وثورته ضد وزيره مؤمل بمدينة لورشة 36

و- عبد الله وموقفه من تمرد القائد نعمان في حصون غرناطة الغربية..... 37

ي- ثورة أوب بن مطروح بغرناطة 37

2- مشاكل غرناطة الخارجية في عهد عبد الله بن بلقين..... 38

أ-علاقة عبد الله بن بلقين بأخيه تميم صاحب مالقة..... 38

ب-علاقة عبد الله بن بلقين بالمعتصم بن صمادح صاحب المرية 38

ج- علاقة الأمير عبد الله بالمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية 38

د- علاقة عبد الله بن بلقين بألفونسو السادس ملك قشتالة 39

1.عبد الله يتنازل لألفوسو عن حصون وقلاع تابعة لغرناطة..... 40

2.عبد الله ومشاركته في معركة الزلاقة(479هـ/1086م) ضد ألفونسو 40

* نهاية عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة..... 45

الفصل الثاني: مكونات مملكة غرناطة

أ- عناصر المجتمع 49
1. العرب 49
2. البربر 53
3. المولدون los Moladus 57
4. المسعربون los Mazarables..... 60
5. اليهود 63
ب- الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الغرناطي 65
1- فئة الخاصة..... 66
أ/ الحكام والأمراء..... 66
ب/ الفقهاء وأهل العلم 68
ج/ الأسرة الغرناطية 72
د/ التجار والمياسر 75
2- فئة العامة..... 76
أ/ الحرفيون وأصحاب الصناعات 77
ب/ الأكره والفلاحين 78
ج/ المتسولون 79
د/ العبيد 80

هـ/ الجواري 83

الفصل الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية

1- الزواج 86

2- الطلاق 90

3- الاحتفالات والأعياد 93

أ/ الاحتفالات والأعياد الإسلامية 93

ب/ الأعياد المسيحية 97

1-عيد النيروز. 97

2- عيد العنصرة أو المهرجان 98

ج/ الأعياد اليهودية 99

1- عيد الفصح. 99

2- عيد حوماريا 99

3- عيد الأسابيع 100

4- الزي الغرناطي 100

- العمائم 101
- القلانس والطيلسان والفائر 102

- المآزر و الأقمصة..... 102
5- الطعام والشراب 103
6- وسائل اللهو والطرب 109
- مجالس اللهو والطرب والشراب..... 111
- الإقبال على الصيد 113
7- الحمامات 114
8- مظاهر الفساد والانحلال الخلقي 115
- ظاهرة البغاء..... 116
- ظاهرة شرب الخمر 118
الخاتمة 120
الملاحق 124
قائمة المصادر والمراجع 128
فهرس المحتويات..... 142